مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، ص923– ص972 يونيو 2011
ISSN 1726-6807 http://www.iugaza.edu.ps/ar/periodical/

قراءة بلاغية في ديوان
الإمام الشافعي 150هـ - 204هـ)

أ.د. نعمان شعبان علوان
أستاذ البلاغة والإعجاز القرآني
كلية الآداب- قسم اللغة العربية
الجامعة الإسلامية – غزة – فلسطين

ملخص: تناولت الدراسة عدداً من القضايا منها: حياته وعلمه ويتضمن: مولده ونشأته وشيوخه وتلاميذه وشعره وفقهه. ثم أظهرت عدداً من الإشارات البلاغية المتعلقة بعلم المعاني والبيان والبديع وذلك من خلال التحليل البلاغي لعدد من القصائد الشرعية في الديوان ، حتى يتضح للقارئ أن الإمام الشافعي بالإضافة إلى كونه فقيهاً وشاعراً وعالماً في الحديث وعالماً في العربية إنه حكيم وبليغ.

Rhetorical Reading in Imam Shafei Collection of Poetry

Abstract: The study presents biographical information about Imam Shafei (life, tutors, students, his poetry and fiqh). In addition, the paper examines a number of rhetorical features in his poetry such as: semantics, style, and figurative language through rhetorical analysis of a number of his poems. The end purpose of this research is to make clear that, in addition to being a specialist in jurisprudence (Fiqh), poet, and a scholar in prophetic hadeeth and linguist, he is wise and eloquent.

حياته وعلمه : ويتضمن

مولده ونشأته :

هو الإمام أبو عبد الله محمد ابن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبد الله بن عبيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة ، يلتقي نسبه برسول الله **r** في عبد مناف ، وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة.

ولد الشافعي عام (150هـ) مائة وخمسون للهجرة ، بغزة وقيل بعسقلان ، وكانت ولادته يوم وفاة أبي حنيفة فقال الناس : " مات إمام وولد إمام " ، ثم نقل إلى مكة وهو طفل صغير ابن سنتين بعد وفاة والده خوفاً من ضياع نسبه ، فأقام عند أقاربه ، وأمه من الأزد وليست من قريش واسمها " فاطمة بنت عبد الله الأزدية ".

وشبَّ الشافعي فقيراً رقيق الحال ، ضيق العيش ، حتى احتاج وهو يطلب العلم إلى جمع قطع الخزف (الفخار) وقطع الجلود ، وسعف النخل ، وعظام الجمال ،ليكتب عليها.

ولقد عاش الشافعي عمره في العصر العباسي وهو عصر ازدهرت فيه الثقافة ، واتسعت الترجمة ، ونقلت الفلسفة ، ودونت العلوم ، وظهرت الاتجاهات الفكرية المختلفة ، ونشأت جماعات المتكلمين والمفندين لأقوال الخارجين على الملة ، وظهرت ملامح التمييز الواضح بين مدرسة الحديث والنقل ، ومدرسة الرأي والعقل وكان الشافعي أقرب إلى المدرسة الأولى منه إلى الثانية.

علمه :

كان الشافعي فصيح اللسان ناصع البيان ، تأدب بأدب البادية وأخذ العلوم والمعارف عن أهل الحضر ، وظهرت علامات النبوغ عند الشافعي صغيراً فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وأخذ يحفظ الأحاديث ويكتبها فحفظ موطأ مالك وهو ابن عشر سنين ، وعني بتعليم قواعد العربية وكلماتها ، ورحل في سبيل ذلك إلى البادية وعاشر قبيلة هذيل نحو سبع عشرة سنة ليتعلم من كلامها ويأخذ طبعها ، وكانت هذيل من أفصح العرب ، وحفظ الشافعي أشعار هذيل وأخبارها ولعل ما يعزز ذلك أن الأصمعيّ صحح أشعار هذيل عليه ، ولقد كان بصيراً باللغة حجة فيها وفي ذلك قول هشام بن عبد الملك : " الشافعي بصير باللغة يؤخذ عنه ولسانه لغة فاكتبوه " ، ولقد كان منصرفاً إلى الشعر والأدب وأيام العرب ، ولكن الله هيأ له من الأسباب ما صرفه إلى الفقه والعلم [1] ، فتتلمذ على جماعة من أهل العلم ، منهم مسلم بن خالد الزنجي المكي وأجازه بالإفتاء وعمره خمسة عشر عاماً ، ثم رحل إلى الإمام مالك بالمدينة وهو في سن العشرين مدة للاستفادة من فقه إمام دار الهجرة ، وأخذته هيبة الإمام مالك فلما التقاه قرأ عليه الموطأ ، فأعجب الإمام به ، فقال له: "يا فتى إن الله تعالى قد ألقى في قلبك نوراً ، فلا تطفئه بالمعصية [2].

وظل الشافعي ملازماً للإمام مالك حتى توفاه الله عام (179هـ) ، والشافعي يقترب من الثلاثين ، ثم قدم بغداد سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة فأقام بها وأخذ عن محمد بن الحسن الحديث والرأي ، وكتب ما أخذه ، وكان يجل أستاذه ثم استفاد من دراسته للفقه العراقي

---

(1) انظر : تهذيب التهذيب – ابن حجر العسقلاني ، ج9 ، ص28 ، مطبعة دار المعارف ، ط1 ، 1366هـ ومعجم الأدباء – ياقوت الحموي ، ج17 ، ص300 ، دار الفكر ، بيروت ، 1980م.

(2) انظر : الأئمة الأربعة ، د. أحمد الشرباصي ، ص 125.

ومناظرته لفقهائه لأن ذلك هيأ له الجمع بين فقه المدينة وفقه العراق ، أو بين فقه النقل وفقه العقل ، وساعده ذلك فأصل الأصول وفق القواعد.

ثم عاد إلى مكة وبدأ يضع المنهج الجديد لمدرسته خاصة وأن رحلاته تلك جمعت لديه عدداً لا يستهان به من الأحاديث والآراء الفقهية المختلفة ، فعمل على ترجيح تلك الأحاديث من حيث السند والناسخ والمنسوخ ، ثم يستنبط المحكم منها ويدرسه بجانب أحكام القرآن وأدلته ، وعندها بدأت شخصية الشافعي وفقهه بالظهور والتميز عن أهل الحجاز وأهل العراق وكون مدرسته الخاصة ، وما أن عاد إلى العراق عام خمس وتسعين ومائة فأقبل عليه العلماء والمحدثون وأهل الرأي وألف كتابه "الرسالة" التي وضع بها الأساس لعلم أصول الفقه ثم انتقل إلى مصر عام تسع وتسعين ومائة فلم يزل بها ناشراً للعلم ملازماً للاشتغال بجامعها العتيق وأعاد الشافعي تأليف كتاب الرسالة بعد رحيله إلى مصر.

وأقام بمصر أربع سنين ونيفاً ، وقيل أن العباس بن عبد الله والي مصر استدعى الشافعي فاستجاب له ، وصنف مذهبه الجديد الذي ذهب إليه في مصر بسبب تغير الأوضاع وضمنه كتابه"الأم".

وبهذا فقد جمع الشافعي بين أهل العقل والرأي ، وفقه أهل النقل والحديث ، فهو الفقه الذي يتمثل فيه ضبط السنة والقياس والرأي... كما أنه الفقه الذي حدد طرق الفهم للقرآن والسنة وقواعد الاستنباط والتخريج ولذلك يعتبر الشافعي بحق واضع علم الأصول [1].

وقد أبدع في الفقه والأصول وكان عالماً بالعربية فصيح اللسان حجة في اللغة ، وهذا ابن هشام إمام أهل مصر في اللغة والنحو يقرر أن الشافعي حجة في اللغة... ويقول يونس ابن عبد الأعلى : " كان الشافعي إذا أخذ في العربية قلت هو بهذا أعلم ، وإذا تكلم في الشعر وإنشائه قلت هو بهذا أعلم ، وإذا تكلم في الفقه قلت هو بهذا أعلم ".

وكانوا يقولون " لسان الشافعي أكبر من كتبه " ولذلك يرى الشافعي أن تعلم العربية واجب على كل مسلم فقال : إن لسان العربية يجب أن يكون مقدماً على كل لسان ، لأنه لسان القرآن ولسان الرسول r ولا يجوز أن يكون لسان المؤمنين تابعاً لأي لسان ، بل يجب أن يكون كل لسان تبعاً للسان العرب القرآني المبين ، ويقول : فعلى كل مسلم أن يتعلم من

---

(1) انظر : الأئمة الأربعة ، د.أحمد الشرباصي ، ص122.

لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ويتلوا به كتاب الله ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح... "[1] .

لذلك أجَلَّه العلماء ، وأُعجبوا به إعجاباً شديداً ، قال الإمام أحمد " لولا الشافعي ما تعلمنا فقه الحديث وقال : كان الفقه مغلقاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي... ".

وقال فيه إمام الجرح والتعديل يحيى بن سعيد القطان : " والله ما رأيت أعقل ولا أفقه من الشافعي " ، وقال الإمام العلم أبو القاسم عبيد الله بن سلام : " والله ما رأيت أفقه ولا أفهم من الشافعي "[2].

ويقول الجاحظ مظهراً بلاغته وحسن نظمه : " نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم ، فلم أر أحسن تأليفاً من المطلبي (الشافعي) كأن كلامه ينظم دراً على درٍ"[3].

شيوخه وتلاميذه :

تتلمذ الشافعي على عدد من الشيوخ منهم الذي عني بالحديث ، ومنهم الذي عني بالفقه ومنهم الذي عني بالرأي ، ومنهم المعتزلي ، وتنوعت أماكن سكناهم بين مكة والمدينة والعراق واليمن ، فمن شيوخ الشافعي في مكة : مسلم بن خالد الزنجي ، وسفيان بن عيينة ، وسعيد بن سالم القداح ، وداود بن عبد الرحمن العطار ، وعبد الحميد بن عبد العزيز ابن أبي داود.

ومن شيوخه في المدينة : مالك بن أنس ، وإبراهيم بن سعد الأنصاري ، وعبد العزيز ابن محمد ، وإبراهيم بن يحيى الأسامي ومحمد بن سعيد بن أبي فديك ، وعبد الله بن نافع الصائغ.

ومن شيوخه في اليمن : مطرف بن مازن ، وهشام بن يوسف قاض صنعاء ، وعمر ابن أبي مسلمة صاحب الأوزاعي ، ويحيى بن حسان صاحب الليث بن سعد.

ومن شيوخه في العراق : محمد بن الحسن ، ووكيع بن الجراح الكوفي ، وأبو أسامة حماد بن أسامة الكوفي ، وإسماعيل بن عطية البصري ، وعبد الوهاب بن عبد المجيد البصري [4].

---

(1) اللغة العربية ومكانتها في الثقافة العربية الإسلامية ، د.جميل الملائكة ، ص127 ، كتاب من قضايا اللغة العربية المعاصرة ، تونس ، 1990م.

(2) الإمام الشافعي – محمد حسان ، ص7 ، موقع islamweb.net.

(3) ديوان الشافعي ، ص12 ، علق عليه محمد عفيف الزعبي ، دار الجيل ، بيروت.

(4) انظر : الأئمة الأربعة د. أحمد الشرباصي ، ص127.

وكما كثر شيوخه كثر تلاميذه فمن تلاميذه في مكة : أبو بكر الحميدي ، وإبراهيم ابن محمد العباس ، وأبو بكر محمد بن إدريس ، وموسى بن أبي الجارود ، ومن أشهر تلاميذه في مكة الإمام أحمد بن حنبل ، ومن تلاميذه في بغداد : الحسن الصباح الزعفراني ، والحسين بن علي الكرابيسي ، وأبو ثور الكلبي ، وأحمد بن محمد الأشعري البصري ، ومن تلاميذه في مصر : حرملة بن يحيى ، ويوسف بن يحيى البويطي ، وإسماعيل بن يحيى المزني ، ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، والربيع بن سليمان الجيزي (1) .

شعره :

عاش الشافعي من البادية سبعة عشر عاماً يحفظ لغة العرب وأشعارهم ، فحفظ عشرة آلاف بيت من شعر الهذليين ، وهو شعر جاهلي وإسلامي فصيح ، فيه كثير من الحماسة والفضائل والحكمة.

فكان شعر الإمام الشافعي درراً ملأه حكمة ، وكان فخماً عميق المعاني ويبتعد عن غريب الألفاظ ، فيه موعظة وتوجيه ونصيحة ، وفيه القوة والجزالة وشرف الغرض الذي تقال فيه. وسأذكر عدداً من الدرر التي ذكرها الإمام الشافعي في الديوان فمما قاله في الرضى بقضاء الله ﻷ :

دَع الأيامَ تَفْعَلُ ما تشاءُ … وطِبْ نفساً إذا حَكَمَ القضاءُ

ولا تَجزَعْ لحادثةِ الليالي … فما لحوادثِ الدُنيا بَقَاءُ

وكُنْ رجلاً على الأهوالِ جَلْداً … وشيمَتُكَ السماحةُ والوفاء (2)

ومن درره ما قاله في قيمة الدعاء :

أتهزأُ بالدُّعاءِ وتزدريه … وما تدري بما صَنَعَ الدعاءُ

سِهَامُ الليلِ لا تُخطى ولَكِنْ … لَهَا أمَدٌ وللأمَدِ انْقِضاءُ (3)

ومما ورد في الحظوظ :

تَمُوتُ الأُسْدُ في الغاباتِ جوعاً … ولحم الضأنِ تأكُلُهُ الكِلابُ

---

(1) المرجع السابق ، ص129.

(2) ديوان الشافعي ، ص15.

(3) المرجع السابق ، ص17.

وعَبْـــدٌ قَـــدْ يَنَـــامُ علـــى حريـــرٍ وذو نَـــسَبٍ مَفَارِشُـــه التُّـــرابُ [1]

ومما ذكر في السماحة وحُسن الخلق محذراً من الرد على السفهاء :

يُخَـــاطِبُني الـــسفيهُ بكـــل قُـــبحٍ فَـــأَكْرَهُ أنْ أكـــونَ لـــه مجيبـــاً

يزيـــدُ ســـفاهةً فأزيْـــدُ حِلْمـــاً كَعُـــودٍ زادَهُ الإحـــراقُ طيبـــا

إذا نَطَـــقَ الـــسفيه فـــلا تُجبْـــهُ فَخَيْـــرٌ مـــنْ إجابتـــه الـــسكوتُ

فـــإن كَلَّمْتَـــهُ فَرَّجْـــتَ عنـــه وإنْ خَلَّيْتَـــه كَمَـــداً يَمُـــوْتُ [2]

ومما يؤكد عليه الإمام الشافعي : أن زينة الإنسان بالعلم والتُّقى وهما اللذان يجعـلان للإنسان اعتباراً في هذه الحياة فيقول :

ومَـنْ لَـمْ يَـذُقْ مُـرَّ الـتَّعلُّم سـاعةً تجـرَّعَ ذُلَّ الجَهْـلِ طـولَ حَيَاتِـه

ومَـنْ فاتَـه التعلـيمُ وَقْـتَ شَـبابِهِ فَكَبِّـرْ عَلَيْـهِ أربعـاً لِوفَاتِـه

وَذَاتُ الفتَـى واللهِ بـالعلمِ والتُّقَـى إذا لـم يكونـا لا اعتبـارَ لذاتِـه [3]

ويبين الإمام أن للسفر فوائد لا بد من اغتنامها فيقول :

تَغَرّبْ عن الأوطـانِ فـي طلـب العُلَـى وسافر ففـي الأسـفار خمـسُ فوائِـدِ

تَفَـرُّجُ هَـمٍّ واكتـسابُ معيـشةٍ وعِلْـمٌ وآدابٌ وصُـحْبَةُ ماجِـدِ [4]

كما يعلمنا بأن نـور العلم يسطعُ بترك المعاصي ، وهذا ما أرشده إليه شـيخه وكيـع فيقول :

شَـكَوْتُ إلـى وكيـعٍ سـوءَ حفظـي فأرشَـدَني إلـى تَـرْك المعاصـي

وأخبرنـي بـأنَّ العلـمَ نُـورٌ ونـورُ الله لا يُهْـدَى لعاصِـي [5]

---

(1) المرجع السابق ، ص 19.

(2) المرجع السابق ، ص22.

(3) ديوان الشافعي ، ص29.

(4) المرجع السابق ، ص 41.

(5) المرجع السابق ، ص 54.

ومن أقواله الحضُّ على ترك المواطن التي يذل فيها الإنسان :

ارْحَـلْ بنَفْـسِكَ مِـنْ أرضٍ تُـضَامُ بِهَـا ... ولا تَكُنْ مِنْ فِرَاقِ الأهـلِ فـي حُـرَقِ

فـالعَنْبَرُ الخـامُ رَوْثٌ فـي مَوَاطِنِـه ... وَفِي التَّغَـرُّبِ محمـولٌ علـى العُنُـقِ

والكُحْـلُ نَـوْعٌ مـن الأحجـارِ تَنْظُـرُهُ ... في أرضِهِ وهو مَرْمِـيٌّ علـى الطُـرُقِ

لمَّـا تَغَـرَّبَ حَـازَ الفـضلُ أجْمَعَـهُ ... فَصَارَ يُحْمَلُ بَـيْنَ الجَفْـنِ والحَـدَقِ (1)

ومما قاله أن من هتك حرمة أخيه هتك الله حرمته :

يـا هَاتِكـاً حُـرَمَ الرجـالِ وقَاطِعـاً ... سُـبُلَ المَـوَدَّةِ عِـشْتَ غَيْـرَ مُكَـرَّمِ

لـو كُنْـتَ حُـرّاً مِـنْ سُـلاَلَةِ مَاجِـدٍ ... مـا كُنْـتَ هَتَّاكـاً لِحُرْمَـةِ مُـسْلِمِ

مَـنْ يَـزْنِ يُـزْنَ بِـهِ ولَـوْ بِجِـدَارِهِ ... إنْ كُنْـتَ يـا هَـذَا لبيبـاً فَـافْهَمِ (2)

قال أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني : دخلت على الشافعي في مرضه الذي مـات فيه فقلت له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، وعلى الله جَلَّ ذِكْرُه وارداً ، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنـة أم إلـى النـار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول :

ولَمَّـا قَـسَا قَلْبِـي وضَـاقَتْ مَـذَاهِبِي ... جَعَلْـتُ الرَّجَـا مِنِّـي لعفـوك سُـلَّما

تَعَـاظَمَنِي ذَنْبِـي فَلَمَّـا قَرَنْتُـهُ ... بِعَفْـوِكَ رَبِّـي كـان عفـوكَ أَعْظَمَـا

ثم ختم قصيدته بقوله :

عَسَى مَـنْ لـه الإحـسانُ يَغْفِـرُ زَلَّتِـي ... ويـسْتُرُ أوزاري وَمَـا قَـدْ تَقَـدَّمَا (3)

(1) المرجع السابق ، ص 63.

(2) ديوان الشافعي ، ص 77.

(3) المرجع السابق ، ص 79.

*** من أقوال الإمام الشافعي :**

تناثرت أقوال الشافعي في الكتب التي كتبها أو التي كتبت عنه ، وسأذكر بعضاً منها جمعها الأستاذ أحمد الشرباصي في كتابه الأئمة الأربعة ومنها :

- (ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته).
- (تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه).
- (من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم).
- (من طلب العلم فليدقق وإلا ضاع دقيق العلم).
- (من لم تُعزِّه التقوى فلا عزَّ له).
- (صحبة من لا يخاف العار عارٌ يوم القيامة).
- (من ولي القضاء ولم يفتقر كان لصاً).
- (من نَمَّ لك نمَّ بك ، ومَنْ إذا أرضيته قال فيك ما ليس فيك ، وإذا أغضبته قال فيك ما ليس فيك)[1].

إنها أقوال لا تصدر إلا عن شخص حاضر البديهة ، قوي الإدراك ، عميق الفكرة ، واسع العقل ، فصيح اللسان ، موفور البيان ، قوي الجنان.

سأل بعض الأئمة الإمام الشافعي عن ثمانية أشياء ، فقالوا : ما رأيك في (واجب وأوجب، وعجيب وأعجب ، وصعب وأصعب ، وقريب وأقرب) فرد عليهم بقوله :

من واجب الناس أن يتوبوا ، ولكن ترك الذنوب أوجب ، والدهر في صرفه عجيب ، وغفلة الناس عنه أعجب ، والصبر في النائبات صعب ، ولكن فوات الثواب أصعب ، وكلُّ ما ترتجي قريب ، والموت من دون ذلك أقرب.

إنه الذكاء والبديهة وقوة الإدراك التي جعلت بشر المريس يقول : (هذا رجل معه نصف عقل أهل الدنيا) [2].

ومع كل هذا العطاء إلا أن لكل أجل كتاب ، فمرض الشافعي كما يقال بالبواسير الذي كان ينزف الدم منه حتى توفي ، وكانت وفاته بمصر في الفسطاط سنة أربعٍ ومائتين من آخر ليلةٍ

---

(1) انظر : الأئمة الأربعة ، د. أحمد الشرباصي ، ص 137.

(2) انظر : الأئمة الأربعة ، د. أحمد الشرباصي ، ص 152.

من شهر رجب ، وعمره أربعةٌ وخمسونَ عاماً ، ودفن يوم الجمعة التالي ليوم وفاته ، ودفنه بنو عبد الحكم في مقابرهم.

قراءة بلاغية في الديوان :

ذكر الإمام الشافعي في ثنايا أشعاره عدداً من الأساليب البلاغية ، وقد تضمنت معاني وفوائد بيانية قيمة موزعة على علوم البلاغة الثلاثة : " المعاني والبيان والبديع " وسأعمل في هذا المقام على إظهار هذه الأساليب وما تضمنته من فوائد من خلال اختيار عدد من القصائد الشعرية، لعلنا نظهر شيئاً من فصاحته وبلاغته وقدرته اللغوية والتعبيرية التي عبر عنها الإمام أحمد بقوله: " كان الشافعي من أفصح الناس ، وكان الإمام مالك تعجبه قراءته لأنه كان فصيحاً" وهذا ما أشار إليه أحمد بن أبي سريح حيث يقول : " ما رأيت أحداً أفوه ولا أنطق من الشافعي " [1] ، وكان الشافعي مبدعاً في التأليف ، متميزاً عن غيره من العلماء قال الجاحظ : "نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا في العلم ، فلم أرَ أحسنَ تأليفاً من المطلبي الشافعي ، كان كلامه ينظم درراً إلى درر ٍ " [2] ، وهذا الذي جعل بشر المريس يقول : " هذا رجل معه نصف عقل أهل الدنيا... وكان فصيح اللسان ، موفور البيان ، قوي الجنان ، وطيد الإيمان ، بازغاً في الخطابة ، حتى لقبه ابن راهويه خطيب العلماء " [3].

القصيدة الأولى

الرضى بقضاء الله وقدره [4]

دَعِ الأيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ	وطِبْ نَفْساً إِذَا حَكَمَ القضاءُ
وَلا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيالِي	فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنيا بَقَاءُ
وكُنْ رَجُلاً على الأهْوَالِ جَلْداً	وشِيمَتُكَ السَّمَاحةُ والوَفَاءُ
وإنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ في البَرَايَا	وسَرَّك أنْ يكونَ لها غِطَاءُ
تَسَتَّر بالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ	يُغَطِّيْه – كَمَا قِيْلَ – السَّخَاءُ

(1) ديوان الشافعي ، محمد الزعبي ، ص12.

(2) المرجع السابق ، ص12.

(3) الأئمة الأربعة ، د.أحمد الشرباصي ، ص152.

(4) ديوان الشافعي ، محمد الزعبي ، ص15.

وَلا تُــــرِ للأَعَـــادِي قَـــطُّ ذُلاً	فـــإنَّ شَـــمَاتَةَ الأعْـــدَاء بَـــلاءُ
وَلا تَـــرْجُ الـــسَمَاحَةَ مِـــنْ بخيـــلٍ	فَمَـــا فـــي النَّـــار للظَّمـــآنِ مـــاءُ
ورِزْقُـــكَ لَـــيْسَ يُنْقِـــصُهُ التَـــأَنِّي	ولَـــيْسَ يَزِيـــدُ فـــي الـــرِّزْقِ العَنَـــاءُ
وَلا حُـــزْنٌ يَـــدُوْمُ ولا سُـــرورٌ	ولا بُـــؤْسٌ عَلَيْـــكَ وَلا رَخَـــاءُ
إذَا مـــا كُنْـــتَ ذَا قَلْـــبٍ قَنُـــوعٍ	فأنْـــتَ وَمَالِـــكُ الـــدُّنْيَا سَـــوَاءُ
وَمَـــنْ نزلَـــتْ بِـــسَاحَتِه المَنَايَـــا	فَـــلا أرضٌ تَقِيْـــهِ وَلا سَـــمَاُء
وَأَرضُ اللهِ وَاسِـــعَةٌ ولَكِـــنْ	إذا نَـــزَلَ القَـــضَا ضَـــاقَ الفـــضاءُ
دَعِ الأيَّـــامَ تَغْـــدِرُ كُـــلَّ حِـــيْنٍ	فَمَـــا يُغْنِـــي عَـــنِ المـــوْتِ الـــدَّواءُ

لو أمعنا النظر في هذه القصيدة لوجدناها تتضمن عدداً من الأساليب البلاغية منها :

أسلوب الأمر : حيث افتتحها واختتمها بالأمر ، وقد عرفه العلماء بقولهم : " هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام " [1] ، إلا أن الأمر في هذا النص جاء في سياق التوجيه والإرشاد والنصيحة ، ففي البيت الأول نصيحة وتوجيه بالتسليم بقضاء الله وقدره حيث يقول :

دع الأيام تفعل ما تشاء ، الدعوة هنا للتسليم بقضاء الله وقدره ، وليس التسليم لنوائب الدهر ونوازله. لذا فقد قال : وطب نفساً إذا حكم القضاء.

والأمر الثاني في قوله : " وكن رجلاً " أي كن رجلاً جلداً صلباً شديداً صابراً خلقك السماحة والوفاء لا يعرف الغدر إلى نفسك طريقاً ولا سبيلاً فالكرم والوفاء من شيم الكرام والأشداء وليس الضعفاء المهازيل.

ثم يواصل نصيحته وتوجيهه داعياً إلى التمسك بالجود والكرم ، على اعتبار أن هذه الصفة صفة محبوبة لدى الناس ، وهي الكفيلة بتغطية أيَّ عتبٍ ربما يتعرض له الإنسان في حياته.

(1) معجم المصطلحات البلاغية ، د.أحمد مطلوب ، ج1 ، ص313 ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1986م.

وهذا أمر منطقي يعكس تجربة حياة طويلة ، على اعتبار أن الكرم والجود هو إطعام وتقديم معروف فمن أطعمته وقدمت له معروفاً إذا رأى منك عيباً خجل أن يتحدث عنه أو يشيعه ، وفي هذه الحالة يتحقق توجيه الإمام بأن السخاء يستر عيب الإنسان فقال :

تَسَتَّر بالسَّخَاءِ فكُلُّ عَيْبٍ   يُغَطِّيْه –كَمَا قِيْلَ – السَّخَاءُ

ثم يختم توجيهه بما بدأ به وهو التسليم لأمر الله لأن كل شيء في هذا الوجود لا يخرج عن إدارة الله ، فقال :

دَعِ الأيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِيْنٍ   فَمَا يُغْنِي عَنِ الموْتِ الدَّواءُ

والغدر هنا بمعنى : ترك الوفاء ، فلتفعل الأيام ما تشاء ، ففعلها خاضع لأمر الله وهذا تسليم مطلق لحكم الله وإرادته.

النهي : هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام وله صيغة واحدة وهو المضارع المقرون بلا الناهية [1] ، وورد النهي في هذه القصيدة في ثلاثة مواضع كلها جاءت بمعنى التوصية والإرشاد فالأول في قوله

وَلا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيالِي   فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنيا بَقَاءُ

فينصحه بعدم الجزع فلا تحزن ولا يدخل الخوف إلى قلبك ولا يَنْفَذ صبرك من مصائب الليالي وأحداثها الجسام ، وهو هنا يدعوه إلى الصبر ، لأن الصبر هو القادر على دفع صاحبه إلى تحمل الابتلاءات ، وفي النهي الثاني ينصحه بألا يظهر ذلك لأعدائه حتى لا يشمتوا به فإن شماتتهم بلاء ومصيبة فقال :

وَلا تُرِ للأَعَادِي قَطُّ ذُلاً   فإنَّ شَمَاتَةَ الأعْدَاء بَلاءُ

ثم يرشده بألاَّ يرجو العطاء من بخيل فلا أمل في تحقق ذلك ، لأنه ليس في النار للظمآن ماءُ وهذا يدخل اليأس والإحباط إلى قلب المخاطب فقال :

وَلا تَرْجُ السَمَاحَةَ مِنْ بخيلٍ   فَمَا في النَّار للظَّمآنِ ماءُ

فمن يطلب السماحة والجود والعطاء من البخيل فهو كمن يستجير بعمر عند كربته ويصدق عليه قول الشاعر :

المستجير بعمر عند كربته   كالمستجير من الرمضاء بالنار [1]

---

(1) انظر : مجمع الأمثال للميداني ، ج2 ، ص49.

الاعتراض : " وهو كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب ، لو سقط لبقي الأول على حاله " [2] ، وقد أشار صاحب الخصائص إلى دلالة الاعتراض فقال : " اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير قد جاء في القرآن وفصيح الشعر ، ومنثور الكلام ، وهو جار عند العرب مجري التأكيد " ، ويقول في موطن آخر : " والاعتراض في شعر العرب ومنثورها كثير وحسن ودال على فصاحة المتكلم وقوة نفسه " [3].

ومن شواهد الاعتراض عند الإمام الشافعي قوله :

تَسَتَّر بالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ   يُغَطِّيْه – كَمَا قِيْلَ – السَّخَاءُ

فقوله (كما قيل) اعتراض يدل على أن هذا الأمر تحدث عنه الناس قبل ذلك إلا أنه يظهر عدم قناعته بذلك على إطلاقه فبعض العيوب ربما لا يصلحها السخاء.

الالتفات : يقال لفت وجهه عن القوم أي : حَرَفَه ، والتفت إليه : حرف وجهه إليه ، ويقال : لفتُّ فلاناً عن رأيه أي حرفته عنه ومنه الالتفات [4].

ويعرفه ابن الأثير بقوله : " الالتفات مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ، فهو يقلب بوجهه تارة هنا وتارة هناك " [5] ، ويحدد الزمخشري القيمة البلاغية لهذا الأسلوب فيقول : " إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ، فإن السامع ربما ملَّ من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر ، تنشيطاً له في الاستماع واستمالة له في الإصغاء " [6].

ومن الالتفات في هذه القصيدة ، قول الشافعي :

إذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ   فأنْتَ وَمَالِكُ الدُّنْيَا سَوَاءُ

وَمَنْ نزلَتْ بِسَاحَتِه المَنَايَا   فَلا أرضٌ تَقِيْهِ وَلا سَمَاُء

فالتفت الشاعر من صيغة المخاطب في البيت الأول " إذا ما كنت وأنت " إلى صيغة الغائب في البيت الثاني " ومن نزلت بساحته المنايا " والقيمة البلاغية لهذا الالتفات تتمثل في

---

(1) المثل السائر ، ابن الأثير ، ج3 ، ص40 ، تحقيق أحمد الحوفي ، بدوي طبانة ، دار النهضة ، مصر.

(2) الخصائص ، ابن جنى ، ج1 ص 335 ، دار الكتاب العربي ، بيروت.

(3) المرجع السابق ، ج1 ، ص338.

(4) انظر : لسان العرب ، مادة : لفت.

(5) المثل السائر ، ابن الأثير ، ج2 ، ص167.

(6) الكشاف ، الزمخشري ، ج1 ، ص64 ، طبعة عيسى الحلبي.

تتميم المعنى المقصود ، وهو التأكيد على خلق القناعة ؛ لأن الموت يذهب بالمـال ومـا يملكـه الإنسان ولكن الذي يبقى هو القناعة.

الحذف : وهو من الإيجاز ومعناه : التعبير عن المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة مع الإبانة والإفـصاح وربما يكون بحذف شيء في الكلمة أو الجملة مع عدم الإخلال بالمعنى وربما يكون بدون حذف فالأول إيجاز الحذف والثاني إيجاز القصر.

ومن أمثلة إيجاز الحذف قول الشافعي

وَلا تُـــرِ للأَعَـــادِي قَـــطُّ ذُلاً　　　فـــإنَّ شَـــمَاتَةَ الأعْـــدَاء بَـــلاءُ

فحذف همزة الأعداء للضرورة الشعرية حتى يستقيم الوزن ، وكذلك قوله :

وَأرضُ اللهِ وَاسِـــعَةٌ ولَكِـــنْ　　　إذا نَـــزَلَ القَـــضَا ضَـــاقَ الفـــضاءُ

فحذف همزة القضاء للضرورة الشعرية أيضاً.

ومن الحذف قوله :

وَلا حُـــزْنٌ يَـــدُوْمُ ولا سُـــرورٌ　　　ولا بُـــؤْسٌ عَلَيْـــكَ وَلا رَخَـــاءُ

أي ولا رخـاءٌ عليـك فحذفـت عليـك لدلالة الأولى عليهـا ولـلضرورة الـشعرية ولأمن اللبس.

التقديم والتأخير :

قال الزركشي عن التقديم والتأخير : " هو أحد أساليب البلاغة فإنهم أتوا به دلالة علـى تمكنهم في الفصاحة ، وانقياده لهم وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق " [(1)] ، ولا يتأتى في اللغة إلا لأغراض بلاغية منها التخصيص وتقوية الحكم والعناية والاهتمام وتقديم الأسبق زمنـاً والأعلى رتبة وتقديم الكثير على القليل والترقي من القليل إلى الكثير والتشويق.

ومما ذكره الشافعي قوله :

وكُـنْ رَجُـلاً علـى الأهْـوَالِ جَلْـداً　　　وشـيمَتُكَ الـسَّمَاحةُ والوَفَـاءُ

ففي الشطر الأول قدم قوله " على الأهوال " على " جلداً " والأصل وكن رجـلاً جلـداً على الأهوال إلا أنه قدم الجار والمجرور حتى ينبه السامع إلى خطورتها فينتبه إليها ويهتم بهـا، فإنها المصائب التي تحتاج إلى القوة والشدة والجلد.

---

(1) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج3 ، ص223 ، طبعة عيسى الحلبي.

ومن هذا القبيل قوله :

دَعِ الأيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِيْنٍ فَمَا يُغْنِي عَنِ الموْتِ الدَّوَاءُ

حيث قدم الموت على الدواء ليبين للسامع أن الموت لا دواء له وهذا فيه حث على الاهتمام بالموت والاستعداد له.

ومنه تقديم " قط " في قوله :

وَلا تُرِ للأَعَادِي قَطُّ ذُلّاً فإنَّ شَمَاتَةَ الأعْدَاء بَلَاءُ

فالأصل : ولا تر للأعادي ذلاً قط إلا أنه قدم "قط" دلالة على أنه لا يجوز لك أن تُظْهر للأعادي أيَّ نوع من الذل مهما يكن صغيراً أو كبيراً ، حتى لا يشمت بك الأعداء وبهذا يولي المتقدم عناية واهتماماً.

ومن التقديم قول الشافعي :

ورِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِصُهُ التَأَنِّي ولَيْسَ يَزِيدُ في الرِّزْقِ العَنَاءُ

فقدم "ينقصه" على "التأني" ، وقدم "يزيد" على "العناء" ، والأصل : ورزقك ليس التأني ينقصه ، وليس العناء يزيد فيه ، لأن "ليس" تدخل على الجملة الاسمية ولا تدخل على الجملة الفعلية ، والغرض البلاغي من وراء هذا التقديم هو : تقوية الحكم وتقريره في نفس السامع والمعنى الذي يريد أن يقويه الإمام الشافعي ويثبته هو : الرزق لا يزيد بالعناء ولا ينقص بالتأني وهذا الذي دفعه إلى تأخير التأني والعناء وذلك لعدم تأثيرهما على الرزق ، زيادة أو نقصاً ؛ لأن ليس دخلت على الفعل وذلك لنفي سلوك قائم عند الناس أن التأني ينقص الرزق وأن العناء يزيد الرزق ، وليس لتقرير معنى أن الرزق ينقص بالتأني ، ويزيد بالعناء إذ لو كان ذلك لقال : ورزقك ليس التأني ينقصه فيكون النفي داخلاً على الاسم.

دلالة استعمال (الأعادي والأعداء) في سياق واحد :

الأعادي : جمع : مفردها : عدو ، إلا أنها جمع كثرة وقد وردت في سياق السلوك ، والمعنى : لا ترى أيَّ واحد منهم ذلاً وهذا يناسبه جمع الكثرة.

أما الأعداء : فهي جمع : مفرده : عدو ، إلا أنها جمع قلة وقد وردت في سياق تثبيت قاعدة خلقية فيها صفة العموم والثبات وهي تجري مجرى المثل والحكمة لأهميتها.

فإن رأيت الشماتة من العدو فإنك لا تراها من جميع الأعداء وإنما من بعضهم ، وهذا يناسبه جمع القلة.

وهذا يدل على أن الشماتة صفة ملازمة لهم مغروسة في طبائعهم أي : هذا طبعهم وهذه عادتهم فما يحدث من القلة هو طبع الكثرة.

النفي بـ (لا – ما – ليس) :

استعمل الشافعي أدوات النفي الثلاثة "ليس - ما - لا" في قوله :

ورِزْقُـــكَ لَـــيْسَ يُنْقِـــصُهُ التَـــأَنِّي   ولَـــيْسَ يَزِيـــدُ فـــي الـــرِّزْقِ العَنَـــاءُ

وَلا حُـــــزْنٌ يَـــــدُوْمُ ولا سُـــــرورٌ   ولا بُـــــؤْسٌ عَلَيْـــــكَ وَلا رَخَـــــاءُ

إلى أن قال :

دَعِ الأيَّـــــامَ تَغْـــــدِرُ كُـــــلَّ حِـــــيْنٍ   فَمَـــا يُغْنِـــي عَـــنِ المَـــوْتِ الـــدَّواءُ

ليس أداة نفي تدخل على الجملة الاسمية وهي فعلٌ جامدٌ من أخوات كان.

أما لا فهي حرفية نافية للجنس تسمى لا البراءة أي "نفياً قاطعاً" تعمل عمل إنَّ ، تنصب الأول وترفع الثاني ، مثل (لا طالبَ في القاعةِ) أي لا طالبَ موجودٌ في القاعةِ.

ونافيـــة للوحدة تعمل عمل ليس ترفع الأول وتنصب الثاني مثل (لا طالبٌ في القاعة بل طالبةٌ) وقد استخدم لا النافية وهي بمعنى ليس ، وأما ما فهي نافية يمكن أن تعمـــل عمـــل لـــيس وتسمى ما الحجازية قال (فما يغني عن الموت الدواء) والمعنى فما الدواءُ مغنياً عن الموتِ " وما ولا " تدخلان على الجملة الاسمية والفعلية ، ويلاحظ أن لا وما بمعنى ليس.

والنفي بـــ (ما ولا) يفيد الدوام غالباً بخلاف ليس التي تفيد النفي المؤقت غالباً.

الخبر:

الخبر هو : كـــل كلام يحتمل الصدق أو الكذب لذاته ، بقطع النظر عن الـــذي ينطـــق بالخبر ، ولكل خبر نسبتان ، نسبة كلامية ونسبة خارجية ، فإن طابقت النسبة الكلاميـــة النـــسبة الخارجية نفياً أو إيجاباً كان الخبر صادقاً وإن لم تطابق كان كاذباً ، وينقسم الخبر باعتبـــار حـــال المخاطب إلى ثلاثة أقسام : الخبر الابتدائي والطلبي والإنكاري ، ومما ورد في هذا النص :

1- **الخبر الابتدائي** : ويكون فيه المخاطب خالي الذهن ومسلماً بالحكم الذي يتضمنه الخبر لذلك يأتي الخبر خالياً من المؤكدات.

ومن هذا القبيل قول الشافعي :

ورِزْقُـــكَ لَـــيْسَ يُنْقِـــصُهُ التَـــأَنِّي   ولَـــيْسَ يَزِيـــدُ فـــي الـــرِّزْقِ العَنَـــاءُ

فالرزق لا ينقصـــه التأني ولا يزيده العناء ، مفهوم لا يحتاج إلى مؤكدات ؛ لأن المؤمن لا يشك فيه ولا ينكره.

وقوله :

وَأرضُ اللهِ وَاسِـــــــــعَةٌ ولَكِـــــــــنْ   إذا نَــــزَلَ القَــضَا ضَــاقَ الفــضاءُ

فهذا خبر لا يحتاج إلى تأكيد لأن سعة أرض الله ماثلة أمام العيان لا ينكرها ولا يــشك فيها أحد.

2- **الخبر الطلبي** : " وهو الخبر الذي يتردد فيه المخاطب ولا يعرف مدى صحته فيحسن عندئــذٍ أن نؤكد له الكلام بمؤكد واحد لنزيل منه الشك ونمحو التردد ويتمكن الخير من نفسه " (1).

ومنه قول الشافعي :

وَلا تُــــرِ للأَعَـــــادِي قَــــطُّ ذُلّــــاً   فــــإنَّ شَــــمَاتَةَ الأعْــــدَاء بَــــلاءُ

فقوله " فإن شماتة الأعداء بلاء " خبر مؤكد بإنَّ لبيان أن العدو يشمت بالمؤمن إن رأى منه هوانا أو ذلاً أو ضعفاً.

ومنه قوله :

إذَا مــــا كُنْــــتَ ذَا قَلْــــبٍ قَنُــــوعٍ   فأنْــــتَ وَمَالِــــكُ الــــدُّنْيَا سَــــوَاءُ

فزيادة (ما) للتأكيد على أن القلب القنوع هو الذي يشعر بأنه يملك كل شيء.

ومن المسائل البيانية التي ذكرت في هذا المقطع :

المجاز العقلي : وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير فاعله الحقيقي مع وجود قرينة مانعــة من إرادة الإســناد الحقيقــي أو هو إسناد الفعل أو ما من شبهه إلى غير ما هو له أصالة " (2).

ومنه قول الشافعي :

دَع الأيَّــــامَ تَفْعَــــلُ مــــا تَــــشَاءُ   وطِــــبْ نَفْــــساً إذَا حَكَــــمَ القــــضاءُ

فقوله : دع الأيام تفعل ما تشاء : مجاز عقلي علاقته الزمانية وفيها يسند الفعــل إلــى الزمان الذي وقع فيه الفعل فالذي يفعل هم أهل الزمان.

---

(1) مفتاح العــلوم ، السكاكي ، ص170 ، تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1983م.

(2) معتــرك الأقران ، السيوطي ، ج1 ، ص247 ، تحقيق د.محمد البجاوي ، دار الفكر العربي ، بيروت.

وقوله :

دَعِ الأيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِيْنٍ فَمَا يُغْنِي عَنِ المَوْتِ الدَّواءُ

فالأيام لا تغدر ، وإنما الذي يغدر هم الناس ، لكنه أسند فعل الغدر إلى الأيام ؛ لأنها زمان وقوع الفعل.

الاستعارة :

الاستعارة : مشتقة من العارية وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر وفي الاصطلاح : استعمال اللفظ في غير ما وضع له ، لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة والمعنى الذي نقلت إليه مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.

قال السكاكي " الاستعارة هي : أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به " (1).

ومن شواهد الاستعارة قول الشافعي :

دَع الأيَّامَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ وطِبْ نَفْساً إذَا حَكَمَ القضاءُ

فقد شبه الأيام بالإنسان ، حذف المشبه به وهو الإنسان ، وذكر لازماً من لوازمه وهو الفعل على سبيل الاستعارة المكنية.

وهي استعارة تبعية مرشحة ، تبعية لأن اللفظ المستعار اسم مشتق وهو الفعل (تفعل) ، ومرشحة : لأن اللفظ المستعار (تفعل) يلائم المشبه به وهو الإنسان.

وقوله :

وإنْ كَثُرَتْ عُيُوبُكَ فِي البَرَايَا وسَرَّك أنْ يكونَ لها غِطَاءُ

فقد شبه العيوب بالشيء المادي الذي يُغطى ثم حذف المشبه به وأبقى لازماً من لوازمه وهو الغطاء على سبيل الاستعارة المكنية ، وهي استعارة تبعية مطلقة ، تبعية لأن اللفظ المستعار اسم مشتق وهو (الغطاء) ومطلقه لأن اللفظ المستعار يلائم المشبه والمشبه به.

ومنه قوله :

تَسَتَّر بالسَّخَاءِ فُكُلُّ عَيْبٍ يُغَطِّيْه – كَمَا قِيْلَ – السَّخَاءُ

---

(1) مفتاح العلوم ، السكاكي ، ص174.

فقد شبه السخاء بالحجاب الذي يستر ثم حذف المشبه به وأبقى لازم من لوازمـــه وهـــو (التستر).

وهي مرشحة لأن اللفظ المستعار (تستر) يلائم المشبه به وتبعية لأنه فعل.

وقوله :

وَأَرضُ اللهِ وَاسِـــــــــعَةٌ ولَكِـــــــــــنْ   إذا نَـــزَلَ القَـــضَا ضَـــاقَ الفـــضاءُ

فقوله : إذا نزل القضاء استعارة مكنية حيث شبه القضاء بالإنسان الذي ينزل ثم حذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى صفة من صفاته وهو النزول.

وهي استعارة مرشحة ؛ لأن اللفظ المستعار (نزل) يلائم المشبه به ، وتبعية لأنه فعل.

ومنه قوله :

دَعِ الأيَّـــــامَ تَغْـــــدِرُ كُــــلَّ حِـــــيْنٍ   فَمَـــا يُغْنِـــي عَـــنِ المـــوْتِ الـــدَّواءُ

فقد شبه الأيام بعدو غادر ، حذف المشـــبه بـــه وأبقى لازم من لوازمه وهو (الغـــدر) وهي استعارة مرشحة لأن اللفظ المستعار (تغـــدر) يلائم المشـــبه به ، وتبعيـــــة : لأن اللفـــظ المستعار فعل.

ومن المحسنات البديعية في هذه القصيدة :

الطباق : وهو الجمع بين المتضادين أو الجمـــع بيـــن الشـــيء وضـــده ، وقد يكون بين اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين.

ومن الطباق في هذه القصيدة :

السماحة – بخيل	طباق بين اسمين
النار – الماء	طباق بين اسمين
يُنقصِه – يزيده	طباق بين فلعين
حزنٌ – سرورٌ	طباق بين اسمين
بؤس – رخاءٌ	طباق بين اسمين
أرضٌ – سماءٌ	طباق بين اسمين
واسعة – ضاق	طباق بين مختلفين.

المبالغة :

وهي "أن يُدَّعى لوصف بلوغُه في الشدة ، أو الضعف حداً مستحيلاً ، أو مستبعداً ، لئلا يُظنَّ أنه غير متناه في الشدة أو الضعف وتنحصر في التبليغ والإغراق والغلو" (1).

ثم جعل القزويني التبليغ ممكناً عقلاً وعادة ، والإغراق ممكناً عقلاً مستحيلاً عادة ، والغلو مستحيلاً عقلاً وعادة.

ومن المبالغة قول الشافعي :

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء

والمعنى : من يملك قلباً قنوعاً فكأنما ملك الدنيا لأنه راضٍ بما قسم الله له ، وهذا من التبليغ لأنه ممكن عقلاً وعادة.

الجناس:

هو "تشابه الكلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى" (2) ، ويسميه البعض التجانس والتجنيس ، وينقسم إلى قسمين : الجناس التام : وهو أن يتفق اللفظان في أنواع الحروف وعددها وهيئاتها وترتيبها ، والجناس غير التام : وهو أن يختلف اللفظان في أنواع الحروف أو عددها أو هيئاتها أو ترتيبها.

ومن الجناس في هذه القصيدة قول الشافعي :

وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاءُ

فالجناس بين "القضا – الفضاء".

وهو جناس غير تام ، ونوعه اللاحق وذلك لأن الاختلاف في أنواع الحروف ، ويكون فيه الحرفان مختلفين في المخرج "مخرج القاف يختلف عن مخرج الفاء".

رد العجز على الصدر :

هو "أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسم منه" (3).

---

(1) الإيضاح ، الخطيب القزويني ، ص 514 ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتاب اللبناني – بيروت ط4 ، 1975م.

(2) علم البديع ، د. بسيوني عبد الفتاح ، ص 234 ، مؤسسة المختار ، ط2 ، 2004م.

(3) تحرير التحبير ،ابن أبي الأصبع المصري ، ص 354 ، تحقيق حفني محمد شرف ، القاهرة ، 1995م.

وهو على ثلاثة أقسام :

الأول : ما وافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في صدره.

والثاني : ما وافق آخر كلمة في البيت أول كلمة منه.

والثالث : ما وافق آخر كلمة في البيت بعض كلماته في أي موضع كان.

"ويكون رد العجز على الصدر بلفظين مكررين ، أو متجانسين ، فنجعل أحدهما في أول الجملة ، والآخر في آخرها ، أو أن يكون أحدهما في الشطر الأول من الشعر ، والثاني في الشطر الآخر" (1).

ومنه قول الشافعي :

ولا تجزع لحادثة الليالي فما لحوادث الدنيا بقاءُ

فرد العجز على الصدر في قوله : "حادثة – حوادث" فاللفظان يجمعهما اشتقاق واحد ، وكلاهما في الحشو ، الأولى في الشطر الأول ، والثانية في الشطر الثاني.

وقوله :

تستر بالسخاء فكل عيب يغطيه كما قيل السخاء

اللفظان المكرران المتفقان في اللفظ والمعنى "السخاء – السخاء" أحدهما في آخر البيت ، والثاني في الشطر الأول.

ومنه قوله :

ولا تر للأعادي قط ذلاً فإن شماتة الأعداء بلاء

اللفظان المكرران المتفقان في اللفظ والمعنى "الأعادي – الأعداء" ، الأولى وردت في الشطر الأول ، والثانية في الشطر الثاني ، وكلاهما من الحشو ، إلا أن الأولى جمع كثرة ، والثانية جمع قلة.

وتظهر بلاغة هذا الأسلوب من خلال دلالة أول الكلام على آخره ، وارتباط أوله بآخره مما يزيد المعنى قوة وتأكيداً.

التصريع :

وهو أن يتفق آخر جزء من صدر البيت مع آخر جزء من عجزه في الوزن والروي والإعراب ، ومن هذا القبيل قول الشافعي :

---

(1) توضيح البديع في البلاغة ، محمد هلال ، ص 103 ، المكتب الجامعي الحديث ، ط1 ، 1997م.

دع الأيـــــام تفعـــــل مـــــا تـــــشاء وطـــب نفـــساً إذا حكـــم القـــضاء

فالتصريع واضح في قولــه : "تشاءُ – قضاءُ" ، فكلاهما مرفــوع مــن حيــث الحكــم الإعرابي ، وهما على وزن واحد (فعال) ، والروي واحد وهو "الهمزة".

القصيدة الثانية

قيمة الدعاء [1]

أَتَهْـــــزَأُ بالـــــدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيـــــهِ وَمَـــا تَـــدْرِي بمـــا صَـــنَعَ الـــدُّعَاءُ

سِـــهَامُ الليـــلِ لا تُخْطِـــي وَلَكِـــنْ لَهَـــا أمـــدٌ وللأَمَـــدِ انْقِـــضَاءُ

1- البيت الأول فيه استفهام في قوله : "أتهزأ" وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأداة مخصوصة" [2].

وغرضه البلاغي : الإنكار التوبيخي ، والمعنى : من يهزأ بالدعاء لا يستحق إلا التوبيخ والتحقير.

وفيه غرض آخر وهو : النهي : أي لا تهزأ بالدعاء لأنك إن استهزأت به وحقرته فهو دليل على جهلك بحقيقة الدعاء ، وحقيقة مــا يفعلــه الــدعاء ، فــلا تــستحق إلا التحقيــر والاستهزاء.

وفيه رد العجز على الصدر بين "الدعاء - الدعاء" اللفظان المكرران المتفقان في اللفظ والمعنى أحدهما في آخر البيت ، والثاني في الشطر الأول.

2- البيت الثاني فيــه تشــبيه حيــث شــبه الدعــاء بالسهام بجامع دقة الإصابة ، وهو تــشبيه معقول بمحسوس باعتبار الطرفين ، وتشــبيه مؤكد باعتبــار الأداة ، حيـــث حـــذفت أداة التشــبيه ، وتشبيه مجمل باعتبار وجه الشبه ، حيــث لم يذكر وجه الشبه ، فهــو التــشبيه البليغ.

والتشبيه هو : الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى بأداة ظاهرة أو مقدرة [3].

والتشبيه البليغ هو : ما حذف منه وجه الشبه وحذفت منه الأداة ، أي المؤكد المجمل.

وفيه أسلوب خبري وهو : كل كلام يحتمل الصدق أو الكذب لذاته [1].

---

(1) ديوان الشافعي ، محمد الزعبي ، ص 17.

(2) مفتاح العلوم ، السكاكي ، ص 308.

(3) من بلاغة القرآن ، د. نعمان علوان – د. محمد علوان ، ص 148 ، ط4 ، 2009م.

الغرض منه : التحذير ، فهو يحذر كل من يهزأ بالدعاء مبيناً أنه سهامٌ لا تخطئ هدفها.

القصيدة الثالثة

الأديب [2]

أَصْبَحْتُ مُطَّرَحـاً فـي مَعْـشَرٍ جَهِلُـوا	حَقَّ الأديـبِ فَبَـاعُوا الـرَّأْسَ بالـذَّنَبِ
وَالنَّـاسُ يَجْمَعُهُـمْ شَـمْلٌ وَبَيْـنَهُمُ	في العَقْلِ فَرْقٌ وفـي الآدَابِ والحَـسَبِ
كَمِثْـلِ مَـا الـذَّهَبِ الإبْرِيـزِ يَـشْرَكُهُ	في لَوْنِـهِ الـصُّفْرُ والتَّفْـضِيلُ للـذَّهَبِ
والعُـودُ لَـوْ لَـمْ تَطِـبْ مِنْـهُ رَوَائِحُـهُ	لَمْ يَفْرِقِ النَّاسُ بَـيْنَ العُـودِ والحَطَـبِ

الأساليب البلاغية في القصيدة :

1- الأسلوب الخبري :

القصيدة كلها خبر إلا أن البيت الأول تضمن خبراً غرضه التحسر ، حيث يتحسر الشاعر على نفسه ، وعلى مكانته بين الناس نظراً لجهل الناس بقيمة الأديب ، فقال :

أَصْـبَحْتُ مُطَّرَحـاً فـي مَعْـشَرٍ جَهِلُـوا   حَقَّ الأديـبِ فَبَـاعُوا الـرَّأْسَ بالـذَّنَبِ

ثم بين في البيت الثاني ما يؤكد عدم تمييز الناس بين إنسان وآخر فقال : هم يتفقون في الصنف ، أي كلهم أناس إلا أنهم حقيقة يختلفون في القدرات العقلية ، وفي الأدب ، وفي الحسب والنسب ، ثم يدلل على ذلك إتفاق الذهب والإبريز في اللون الأصفر مع أشياء أخرى إلا أن الذهب مفضلٌ عليها ، ومميز عنها لنفاسة عنصره.

وكذلك لو لم يتميز عود الطيب برائحته الطيبة عن باقي العيدان لعده الناس ضرباً من الحطب.

وبهذه الأدلة يثبت الشافعي اتفاق الناس واتفاق الأشياء في الصنف والجنس إلا أن كل واحد من هذا الجنس أو الصنف له ما يميزه عن غيره في اللون والشكل ، والقيمة ، والعقل ، والأخلاق ، والرائحة ، والأدب.

(1) المرجع السابق ، ص 20.

(2) ديوان الشافعي ، محمد الزعبي ، ص 19.

2- التشبيه التمثيلي :

وهو: "ما كان فيه وجه الشبه هيئة منتزعة من شيئين أو عدة أشاء" [1] ، ومن هذا القبيل قول الشافعي :

وَالنَّـــاسُ يَجْمَعُهُـــمْ شَـــمْلٌ وَبَيْـــنَهُمُ   في العَقْلِ فَرْقٌ وفـــي الآدَابِ والحَـسَبِ

كَمِثْـــلِ مَـــا الـــذَّهَبِ الإبْرِيـــزِ يَـــشْرَكُهُ   في لَوْنِـــهِ الـصُّفْرُ والتَّفْـضِيلُ للـذَّهَبِ

فقد شبه الحالة التي عليها الناس ، وقد يجمعهم شمل وجنس وأصالة إلا أنهم يختلفـون في الجوهـر "في العقـل والأدب والحسـب" بالذهب الإبريز الذي يجمعه اللون الأصـفر مـع أشياء أخرى إلا أنه يختلف عنها في الجوهـر ، فجاء التشبيه من قبيل تـشبيه حالـة بحالـة أو صورةٍ بصورة.

3- التكرار :

وهو "دلالة اللفظ على المعنى مردداً" [2].

ومنه قوله :

كَمِثْـــلِ مَـــا الـــذَّهَبِ الإبْرِيـــزِ يَـــشْرَكُهُ   في لَوْنِـــهِ الـصُّفْرُ والتَّفْـضِيلُ للـذَّهَبِ

فالتكرار في قوله "الذهب – الذهب" تكرار في اللفظ والمعنـى غرضـه التأكيـد علـى أفضلية الذهب وتمكنه في النفس.

4- التقديم والتأخير :

وهذا واضح في قوله :

وَالنَّـــاسُ يَجْمَعُهُـــمْ شَـــمْلٌ وَبَيْـــنَهُمُ   في العَقْلِ فَرْقٌ وفـــي الآدَابِ والحَـسَبِ

فقدم قوله "في العقل" على "فرقٌ" فالأصل "فرقٌ في العقل" إلا أنه قدم شبه الجملة للأهمية لأن الذي يعنيه ويهمه وجود فروق لا كما يظن الناس من وجود مساواة وتشابهه.

5- طباق بين اسمين :

وهو أحد الصور التي يأتي عليها الطباق في اللغة العربية فيكون كلا الطـرفين اسـم : فالطباق بين الرأس والذنب في قول الشافعي :

---

(1) علم البيان ، د. بسيوني عبد الفتاح ، ص 81.

(2) المثل السائر ، ابن الأثير ، ج3 ، ص 3.

أَصْــبَحْتُ مُطَّرحــاً فــي مَعْــشَرٍ جَهِلُــوا حَقَّ الأديــبِ فَبَــاعُوا الــرَّأْسَ بالــذَّنبِ

6- التقسيم :

وهو : "ذكر متعدد ثم إضافة ما لكلٍّ إليه على التعيين" (1) ، وقال السكاكي : هــو : "أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحدٍ من أجزائه ما هو له عندك" (2) ، ومنه قول الشافعي :

وَالنَّــاسُ يَجْمَعُهُــمْ شَــمْلٌ وَبَيْــنَهُمُ في العَقْلِ فَرْقٌ وفــي الآدَابِ والحَــسَبِ

فكأنه يقول : الناس مجتمعون ومتفرقون ، مجتمعون في الجنس والشمل ، ومتفرقون في العقل والآداب والحسب ، وهذا شبيه باللف والنشر.

7- الإرصاد :

الإرصــاد معناه الرصد ، أي المراقبة ، أو هو :"أن يكون أول الكلام مرصــداً لفهــم آخره"(3)، وهذا سر بلاغته فكيف يدلك أوَّله على آخره قبل أن تصل إليه ، ومنه قول الشافعي :

كَمِثْــلِ مَــا الــذَّهَبِ الإبْرِيــزِ يَــشْرُكهُ في لَوْنِــهِ الــصُّفْرُ والتَّفْــضِيلُ للــذَّهَبِ

فالإرصاد في قوله : "الذهب" وهو الذي دلَّ على آخره وهو "الذهب".

8- رد العجز على الصدر :

وهو : أن يجعل أحد اللفظين المكررين في آخر البيت ، والآخر في صــدره ، أو فــي حشو المصراع الأول ، وقسمه ابن المعتز إلى ثلاثة أقسام كما أشرنا سابقاً ، ومنه قول الشافعي :

كَمِثْــلِ مَــا الــذَّهَبِ الإبْرِيــزِ يَــشْرَكُهُ في لَوْنِــهِ الــصُّفْرُ والتَّفْــضِيلُ للــذَّهَبِ

فاللفظان المكرران "الذهــب والذهب" أحدهما في آخر الشطر الثــاني ، أو المــصراع الثاني ، واللفظ الثاني في حشو الشطر الأول.

---

(1) الإيضاح ، القزويني ، ص 506.

(2) المرجع السابق ، ص 506.

(3) عروس الأفراح ، بهاء الدين السبكي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، ج2 ، ص 234 ، المكتبة المصرية ، عام 2003م.

القصيدة الرابعة

الحضُّ على التِّرحال [1]

مَــا فـــي المُقَــامِ لِــذِي عَقْــلٍ وذِي أَدَبٍ	مِنْ رَاحَــةٍ فَــدَعِ الأوطَــانَ واغْتَــرِبِ
سَـــافِرْ تَجِـــدْ عِوَضـــاً عَمَّـــنْ تُفَارِقُـــهُ	وانْصَبْ فإنَّ لذيْذَ العَيْشِ فـــي النَّـــصَبِ
إنِّـــي رأيْـــتُ وُقُـــوْفَ المـــاءِ يُفْـــسِدُهُ	إنْ سَاحَ طَابَ وإنْ لَمْ يَجْــرِ لَــمْ يَطِــبِ
والأُسدُ لَوْلَا فِــرَاقُ الأرْضِ مــا افْتَرسَــتْ	والسَّهم لولا فِرَاقُ القــوسِ لَــمْ يُــصِبِ
والشَّمْسُ لــو وَقَفَــتْ فـــي الفُلْــكِ دائمــةً	لَملَّها النَّاسُ مِــنْ عُجْــمٍ وَمِــنْ عَــرَبِ
والتِّبْـــرُ كـــالتُّرْبِ مُلْقَـــىً فـــي أَماكِنِـــه	وَالعُوْدُ في أرْضِه نَــوْعٌ مِــنَ الحَطَــبِ
فـــإنْ تَغــــرَّبَ هَـــذَا عَــــــزَّ مَطْلَبُـــهُ	وإنْ تَغَـــرَّبَ ذَاكَ عَـــــزَّ كالـــــذَّهَبِ

الأساليب البلاغية :

1- **النفي "بما"** وهي بمعنى ليس أي : ليس في المقام راحة ، وما دام الأمر كذلك لابد إذن مـــن بديل ألا وهو السفر فجاءت الأوامر بعد النفي.

2- **الأمر** : جاءت الأوامر بعد ما أثبت عدم الراحة في الإقامة ، تحمل معنى "التوجيه والإرشاد" فبدأ الأمر بالترك فقال "دع" وهذا تعليل منطقي ، وكأنه يقول له "ما دمت غير مرتـــاح فـــي وطنـــك فاتركه" ثم تأتي النتيجة الطبيعية للترك ألا وهي الاغتراب والاغتراب لا يتحقـــق إلا بالسفر ، ولذلك جاءت مرتبة ترتيباً منطقياً "دع – اغترب – سافر" ، وهي في مقام النصيحة والإرشاد والتوجيه ، والاغتراب عن الأوطان تقتضي الاجتهاد والتعب وتحمل المشقات فإن لذيذ العيش في النصب.

3- **الخبر الطلبي** : وهو الخبر المؤكد بمؤكد واحد ويكون فيه المخاطب متردداً في قبول الحكم الذي يتضمنه الخبر وهذا واضح في قول الشافعي :

سَـــافِرْ تَجِـــدْ عِوَضـــاً عَمَّـــنْ تُفَارِقُـــهُ	وانْصَبْ فإنَّ لذيْذَ العَيْشِ فـــي النَّـــصَبِ

---

[1] ديوان الشافعي ، ص 26.

فقوله "فإن لذيذ العيش في النصب" خبر مؤكد بإن غرضـه البلاغـي "الوعـد" وكأنـه يخاطبه بقوله سافر فستجد ما أعدك به.

ثم يخبر أيضاً بأن الأسد لو لم تتحرك وتغادر مكانها لما حصلت على فريستها وكـذلك السهم لو لم يفارق قوسه لم يحقق الإصابة للهدف ، والشمس لو بقيت ثابتة في مكانها لملها الناس وهذا أما أكده أبو تمام بقوله :

وطـولُ مُقـامِ المـرءِ الحـيِّ مُخْلِـقٌ لديباجتيـه فـاغترب تتجـدد

فـإنِّي رأيـتُ الـشَّمس زيـدت محبـةً إلى الناس أنْ ليست علـيهم بِـسَرْمَدِ [1]

وليس غريباً ألا تظهر قيمة الذهب إلا إذا تغرب عن مكانه ، ولا تظهر قيمة العـود إلا إذا تغرب عن مكانه وهذا ما يؤكده الشافعي في موطن آخر حيث يقول :

ارحـل بنفـسك مـن أرضٍ تـضامُ بهـا ولا تكن مِنْ فراقِ الأهـلِ فـي حُـرَقِ

فـالعنبرُ الخـامُ رَوْثٌ فـي مواطنـه وفي التَغـرُّبِ محمـولٌ علـى العُنُـقِ

والكُحْـلُ نـوعٌ مـن الأحجـارِ تَنْظُـرُه في أرضِهِ وهو مرمـيٌّ علـى الطُـرُقِ

لمـا تغـرَّبَ حـاز الفـضلَ أجْمَعَـهُ فَصَار يُحْمَلُ بَـيْنَ الجَفْـنِ والحَـدَقِ [2]

4- **الإطناب** : وهو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة أو كما عبر عنه الخطيب القزويني في حديثه عن طـرق التعبير بقوله "هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له أو ناقص عنه وافٍ ، أو زائد عليه لفائدة" [3].

فقد تحدث الإمام الشافعي في هذا النص عن فوائد السفر والحض على الترحال ثم أطنب في ذكر الأدلـة المنطقيـة الواقعيـة التي تثبت صدق مقولته ورأيه ، والنص شاهد على ذلك.

5- **التشبيه** في قوله :

والتِّبْـرُ كـالتُّرْبِ مُلْقَـىً فـي أَماكِنِـه وَالعُوْدُ في أَرْضِه نَـوْعٌ مِـنَ الحَطَـبِ

---

(1) الإيضاح ، القزويني ، ص 330.

(2) ديوان الشافعي ، ص 63.

(3) الإيضاح ، القزويني ، ص 281.

حيث شبه الذهب بالتراب في عدم إظهار قيمته ، ولا تظهر قيمته ولمعانه إلا بعد أن ينقل من مكانه ويصهر ، وكذلك عود البخور هو حطب لا قيمة له إلا بعد أن يحرق فيعرفه الناس ، وهو تشبيه محسوس بمحسوس ، ومرسل لذكر أداة التشبيه ، ومجمل لعدم ذكر وجه الشبه.

6- **الاستعارة** في قوله :

والشَّمْسُ لو وَقَفَتْ في الفُلْكِ دائمةً   لَمَلَّها النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ

فقد شبه الشمس بالإنسان ثم حذف المشبه به وأبقى لازماً من لوازمه وهو الوقوف على سبيل الاستعارة المكنية.

7- **الطباق** : وهو الجمع بين الشيء وضده ، وهذا واضح في المواضع التالية :

1- **طباق بين مختلفين** : "وقوف – ساح" فالطباق بين اسم وفعل.

2- **طباق سلب** : وهو الجمع بين مثبت ومنفي كما في قوله "طاب ولم يطب".

3- **طباق بين اسمين** : كما في قوله (عجم وعرب).

8- **مراعاة النظير وفيه** : يُجمع بين الأمور المتناسبة لذا يُسمى عند البلاغيين بالتناسب ومن صورة ائتلاف اللفظ والمعنى ، فتجيء الألفاظ مناسبة للمعنى المقصود ، فإذا كان رقيقاً كان اللفظ رقيقاً ، ومنه قول الشافعي :

والأُسدُ لَوْلَا فِرَاقُ الأرْضِ ما افْتَرسَتْ   والسَّهم لولا فِرَاقُ القوسِ لَمْ يُصِبِ

والشَّمْسُ لو وَقَفَتْ في الفُلْكِ دائمةً   لَمَلَّها النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ

فالتناسب واضح بين "الأسد والأرض والافتراس" ، وكذلك بين "السهم والقوس" "والشمس والفلك" ، فقد جاءت الألفاظ في المقاطع الثلاثة ملائمة للمعنى المقصود في كل مقطع ومناسبة له.

9- **المذهب الكلامي وهو**: "أن يورد المتكلم حجة لما يدعيه على طريق أهل الكلام"[1]

كقوله تعالى : **[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ]** [2].

فقد أورد الإمام الشافعي حجة منطقية تدلل على صحة ما أورده في الحض على السفر والترحال تتمثل في ستة مواطن :

(1) الإيضاح ، القزويني ، ص 516.

(2) سورة الأنبياء ، 22.

الأولى : أن وقوف الماء يفسده ولا يصلحه إلا الحركة.

الثانية : لولا فراق الأسد لمواطنها لما افترست.

الثالثة : لولا فراق السهم للقوس لم يصب.

الرابعة : لو لم تتحرك الشمس وتنتقل من مكان إلى مكان لملها الناس.

الخامسة : الذهب لا تعرف قيمته إلا إذا انتقل من مكانه.

السادسة : عود البخور لا تعرف قيمتــه ورائحتــه إلا إذا نقــل مــن مكانه وحرق في النار.

10- **الجناس غير التام**: وهو اختلاف اللفظين في أنواع الحروف وعددها ، وهيأتها ، وترتيبها.

فالاختلاف في أنواع الحروف قسمان : مضارع ولاحق ، والاختلاف في العدد جناس ناقص ، والاختلاف في الترتيب جناس قلب والاختلاف في الهيئة جناس محرف.

ومما ورد في هذه القصيدة من هذه الأنواع جناس القلب في قول الشافعي :

والتِّبْـــرُ كـــالتُّرْبِ مُلْقَـــىً فـــي أَماكِنِـــه وَالعُوْدُ في أَرْضِه نَـــوْعٌ مِـــنَ الحَطَـــبِ

فكلمة (التبر والترب) وقع فيها اختلاف في ترتيب الحرفين الأخيْرين ، فقد وقع بينهما التشابه في اللفظ ، واختلاف المعنى ، وتغيير في ترتيب الحروف : فهو جناس من جهة وقلب من جهة ثانية.

11- **رد العجز على الصدر** وذلك من خلال وجود لفظين مكررين أو متجانسين : أحدهما في الشطر الأول ، والآخر في الشطر الثاني ، ومنه قول الشافعي :

فـــإِنْ تَغـــرَّبَ هَـــذَا عَـــــزَّ مَطْلَبُـــهُ وإِنْ تَغَـــرَّبَ ذَاكَ عَـــــزَّ كالـــــذَّهَبِ

فالشاهد بين اللفظين "عــزَّ وعــزَّ".

القصيدة الخامسة

واعظَ النَّاسِ [1]

يَـــا وَاعِـــظَ النَّـــاسِ عَمَّـــا أَنْـــتَ فَاعِلُـــهُ يَـــا مَـــنْ يُعَـــدُّ عَلَيْـــهِ العُمْـــرُ بـــالنَّفَسِ

احْفَـــظْ لِـــشَيْبِكَ مِـــنْ عَيْـــبٍ يُدَنِّـــسُهُ إِنَّ البَيَـــاضَ قَلِيْـــلُ الحَمْـــلِ لِلـــدَّنَسِ

كَحَامِـــلٍ لِثِيَـــابِ النَّـــاسِ يَغْـــسِلُهَا وَثَوْبُهُ غَارِقٌ فـــي الـــرِّجْسِ والـــنَّجَسِ

(1) ديوان الشافعي ، ص 51.

تَبْغِـي النَّجَـاةَ ولَـمْ تَـسْلُكْ طَرِيْقَتَهَـا إنَّ الـسَّفِينَةَ لا تَجْـرِي عَلَـى اليَـبَسِ

رُكُوبُكَ الـنَّعْشَ يُنْـسِيْكَ الركُـوبَ عَلَـى مَا كُنْتَ تَرْكَبُ مِنْ بَغْـلٍ وَمِـنْ فَـرَسِ

يَـوْمَ القيامـةِ لا مَـالٌ ولا ولَـدٌ وضَـمَّةُ القَبْـرِ تُنْـسِي لَيْلَـةَ العُـرسِ

الأساليب البلاغية :

1- **النداء وهو** : "طلب الإقبال من المخاطب بحرف من حروف النداء" [1] ، ومن هذه الأحرف: "الهمزة وأي" وهما لنداء القريب ، و "يا – أيا – وا" وهي لنداء البعيد ، أما "يا" فهي أكثر الأدوات استعمالاً و "هيا – آ – آي" هي أقل الأدوات استعمالاً ، والقيمة البلاغية للنداء لا تكمن في الأداة نفسها ، بل في السياق الذي تستدعى يه أداة النداء.

ومن النداء في هذه القصيدة قوله :

يَـا وَاعِـظَ النَّـاسِ عَمَّـا أنْـتَ فَاعِلُـهُ يَـا مَـنْ يُعَـدُّ عَلَيْـهِ العُمْـرُ بـالنَّفَسِ

مقولة "يا واعظ الناس" في الشطر الأول نداء يحمل معنى التعجب والتوبيخ ، تعجبٌ من حاله المتناقضة بين القول والسلوك ، فهو يعظ الناس بأن يسلكوا طريق الخير والفضيلة ، وتوبيخ له على هذه الحال السيئة التي تقوم على التناقض لا على الصدق ، وذلك لخروجه عن المنطق المألوف الذي يتمثل في إحداث التوافق بين الفعل والقول ، فمن خال فعلُه قولَه فقد استحق الذم والتوبيخ والتحقير ، وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى : **[أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ]** [2] ، فهو استفهام للتوبيخ لذات الشيء ، وهو ما عبر عنه الشاعر بأسلوب النهي في قوله :

لا تَنْـهَ عَـنْ خُلُـقٍ وتَـأْتِي مِثْلَـه عـارٌ عليـك إذا فعلـت عظـيم

فهو توبيخ لمن ينهى عن شيء ويفعله ، إنه التوبيخ لمن خالف قوله فعله ، لذلك جاء في الشطر الثاني محذراً فقال "يا من يُعدُّ عليه العمر بالنفس" نداء للتحذير من خلال استدعاء مظاهر الضعف الإنساني وأهمها فناء وجوده ، وهو يعرض هذه الحقيقة من خلال تجربة مستعملاً الفعل المضارع "يعد عليه العمر" وفيه حث على الاستقامة قبل انقضاء الأجل.

(1) من بلاغة القرآن ، د.محمد علوان – د.نعمان علوان ، ص 60.

(2) سورة البقرة ، 44.

2- **الأمر** في قوله "احفظ لشيبك من عيب يدنسه" للنصيحة والإرشاد حتى لا يعكر صفو هذا البياض شيء من السواد.

3- **الخبر الطلبي** في قوله "إنَّ البياض قليلُ الحَمْلِ للدَّنَس" حيث أكد الخبر بمؤكد واحد وهو "إنَّ" وفيه يكون المخاطب متردداً في قبول الحكم الذي يتضمنه الخبر ، هذه الأخبار في حقيقتها لا يتردد المخاطب في قبولها ، فهو يعلم أن البياض قليل الحمل للدنس ، ولكن التردد ناشئ في عقل المخاطب في العلاقة بين هذه الحقيقة وسلوكه.

4- **التشبيه التمثيلي** في قوله :

كَحَامِـــلٍ لِثِيَـــابِ النَّـــاسِ يَغْـــسِلُهَا ... وَثَوْبُهُ غَـارِقٌ فـي الـرِّجْسِ والـنَّجَسِ

فقــد شبه حال الواعظ الذي يعظ النـــاس لإصلاحهم وهو لا يعمل بما يعظ به الناس ولا يتعظ بمـا ينصح به النـاس بحـال من يحمل ثيـاب الناس ليغسـلها وينظفها وثيابه مليئة بالرجس والنجس.

فالأولى أن يبدأ بنفسه موعظة وتديناً وحُسنَ خلق وصفاءً ونقاءً ثم بعد ذلك ينتقل إلى الناس فيطلب صفاءَهم وتدينهم وطهارتهم وبهذا يُمدَح ولا يُذَم.

5- **التشبيه الضمني** : وهو التشبيه الذي لا يظهر في صورة من صور التشبيه المعروفة ، فلا تظهر فيه الأداة الدالة على معنى التشبيه ولا يظهر فيه الطرفان فهو خفي غير واضح ويختلف عن التشبيه الصريح الذي يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة وربما يكون الدافع وراء ذلك حب التجديد في الأساليب أو الرغبة في إخفاء التشبيه لأنه كلما دقَّ وخفي كان أبلغ وأوقع في النفس وغالباً ما يكون المشبه به في التشبيه الضمني برهاناً وتعليلاً للمشبه ومنه قول الشافعي :

تَبْغِـي النَّجَـاةَ وَلَـمْ تَـسْلُكْ طَرِيْقَتَهَـا ... إنَّ الـسَّفِينَةَ لا تَجْـرِي عَلَـى اليَـبَسِ

فقد شبه حال من يطلب النجاة ولم يأخذ بأسبابها بحال السفينة الراسية على اليابسة ، فالمشبه به برهن على صحة المشبه.

6- **التكرار** : وهو "دلالة اللفظ على المعنى مردداً" [1] ،وقد وقع التكرار في المواطن التالية : بين "يدنسه – الدنس" وهو تكرار في اللفظ وفيه تحذير.

---

(1) المثل السائر ، ابن الأثير ، ج3 ، ص3.

وبين "الرجس والنجس" تكرار في المعنى وإن وقع الاختلاف في اللفظ ، يقال "شيء "رِجْسُ نجسٌ" إذا قرنت "برجس" ويقال نجسته الذنوب والمعاصي "إنما المشركون نجس" [1] ، والرجس والمعصية والذنوب ، قال تعالى : **[فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ...]** {الحج:30} ويقال الرجس العذاب ، قال تعالى : **[قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ...]** {الأعراف:71} ، فعندما يقول "وثوبه غارق في الرجس والنجس" فيها مبالغة في المعصية وارتكاب الذنوب.

والتكرار أيضاً بين "ينسيك وتنسِ" للدلالة على أن الأمر أكبر وأعظم مما يتصوره عقل الإنسان.

وبين "ركوبك والركوب وتركب" تكرار في اللفظ وقد استحضر الشافعي موقفين ، موقف فيه عزة متمثل "بركوب البغل والفرس" ومعلوم لدينا أن مثل هذه المواقف لا تُنسى إلا أنك ستنساها بمجرد أن تركب النعش لأن الثاني أعظم وأكبر مما كنت تتصور ، وموقف فيه لذة ومتعة وهو من المواقف التي لا تنسى متمثل "بليلة العرس" إلا أنك ستنساها بمجرد أن يضمك القبر لما فيه من الأهوال الجسام ، وفي هذا تحذير وموعظة للمخاطبين.

القصيدة السادسة

الدهرَ يوم لك ويوم عليك [2]

الـــدَّهْرُ يَوْمَـــانِ ذَا أَمْـــنٌ وَذَا خَطَـــرُ	والعَـــيْشُ عَيْـــشَانِ ذَا صـــفوٌ وذا كَـــدَرُ
أَمــا تَــرَى البَحْــرَ تَعْلُــو فَوْقَــه جِيَــفٌ	وتَـــسْتَقِرُّ بأقــصى قَاْعِـــهِ الـــدُّرَرُ
وفـــي الـــسماءِ نُجُـــومٌ لا عِـــدَادَ لَهَـــا	ولَيْسَ يُكْـسَفُ إِلَّــا الــشَّمْسُ والقَمَــرُ

الأساليب البلاغية :

1- **اللف والنشر** : وهو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كل واحد إلى ما يناسبه ، فالأول اللف والثاني النشر ، واللف : هو الطيُّ لأنه اشتمل على حكم من غير تصريح به ، فلما صرح بعد ذلك بالحكم المطوي ووضحه كأنه نشره وأبرزه فسمي نشراً ، وينقسم إلى قسمين ، لف ونشر مفصل ، ولف ونشر مجمل ، وما ورد في هذه القصيدة هو لف ونشر

---

(1) أساس البلاغة ، الزمخشري ، ص 447 ، دار المعرفة – بيروت ، 1982م.

(2) ديوان الشافعي ، ص45.

مجمل ، فاللف يشتمل على عدد ، والنشـــر يأتـــي مفصـــلاً على حسب اللف ومنه قول الشافعي :

الـــدَّهْرُ يَوْمَـــانِ ذَا أَمْـــنٌ وَذَا خَطَـــرُ والعَـيْشُ عَيْـشَانِ ذَا صـــفوٌ وذا كَـــدَرُ

فقد ذكر المتعدد على جهة الإجمال في قوله "الدهر دهران والعيش عيشان" ثم جاء بالنشر مفصلاً في قوله "ذا أمن وذا خطر" وقوله "ذا صفو وذا كدر" ، وهذا ليس هدفه توضيح مفاهيم للدهر والعيش ، فهذه من الأمور المقررة عقلاً لكنها ليست مقررة سلوكاً وفعلاً ، ولذلك استعمل أسلوب اللف والنشر لهذه الغاية السلوكية.

2- **التوشيع** : وهو أن يُؤْتَى في عجز الكلام بمثنى مُفَسَّر باسمين أحدهما معطوف على الآخر ، فقولـــه "الدهـــر دهـــران" : مثنى مفسر باسمين هما "ذا أمن وذا خطر" أحدهما معطوفاً على الآخر.

وقوله "العيش عيشان" مثنى مفسر باسمين هما "ذا صفو وذا كدر" أحدهما معطوف على الآخر ، ويعتبر التوشيع أحد صور الإطناب.

3- **الاستفهام بمعنى التقرير والتثبيت** في قول الشافعي :

أَمَـــا تَـــرَى البَحْـــرَ تَعْلُـــو فَوْقَـــه جِيَـــفٌ وتَـــسْتَقِرُّ بأقـــصى قَاْعِـــهِ الـــدُّرَرُ

فهذه حقيقة ثابتة لا شك فيها.

والتقرير : هو طلب الإقرار أو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأداة من أدوات الاستفهام ، والتثبيـــت بمعنى التحقيق ، فلا يعلو ويطفو على سطح البحر إلا الزبد والجيف ولا يستقر في قاعه إلا الدرر والأشياء الثقيلة.

4- **التقديم** في قوله "وتستقر بأقصى قاعه الدرر" فقدم قوله "بأقصى قاعه" على قوله "الدرر" والترتيب : وتستقر الدرر بأقصى قاعه ، إلا أنه قدم شبه الجملة للدلالة على التحقيق والمعنى : أن القاع هو المكان الخاص للدرر ، أو الدرر لا تستقر إلا في القاع.

وكذلك التقديم للجار والمجرور في قوله "وفي السماء" على قوله "نجوم" والترتيب نجوم في السماء ، ولكنه قدم للدلالة على أن النجوم أصلاً لا تكون إلا في السماء.

5- **القصر** وهو : "تخصيص شيء بشيء بطريق معهود وهو حقيقي وغير حقيقي" [1] ومن طرقه : إنما – ما – إلا – العطف بلا – بل – لكن ، والتقديم ، وقد ورد القصر في هذه القصيدة في قول الشافعي :

وفـــي الـــسماءِ نُجُـــومٌ لا عِـــدَادَ لَهَـــا ... ولَيْسَ يُكْـسَفُ إلَّـا الـشَّمْسُ والقَمَـرُ

فقوله "وليس يكسف إلا الشمس والقمر" قصر حقيقي بطريق النفي والاستثناء لأنه قصر الكسوف على الشمس والقمر وهذه حقيقة ثابتة وواقعة.

6- **الطباق المعنوي** في قوله "فوقه وبأقصى قاعه" فلفظ "فوقه" يقابله "تحته" أو أسفل منه وهو المستفاد من قوله بأقصى قاعه.

القصيدة السابعة

عِزَّةُ النفس [2]

لَقَلْـــعُ ضِـــرْسٍ وَضَـــرْبُ حَـــبْسِ ... ونَـــزْعُ نَفْـــسٍ وَرَدُّ أمْـــسِ

وَقَـــرُّ بَـــرْدٍ وَقَـــوْدُ فَـــرْدٍ ... وَدَبْـــغُ جِلْـــدٍ بغَيْـــرِ شَـــمْسِ

وَأكْـــلُ ضَـــبٍّ وصَـــيْدُ دُبٍّ ... وَصَـــرْفُ حُـــبٍّ بـــأرضِ خَـــرْسِ

ونَفْـــخُ نَـــارٍ وَحَمْـــلُ عَـــارٍ ... وبَيْـــعُ دَارٍ برُبْـــعِ فِلْـــسِ

وبَيْـــعُ خُـــفٍّ وعـــدمُ إلْـــفٍ ... وَضَـــرْبُ أِلْـــفٍ بِحَبْـــلِ قَلْـــسِ

أهْـــوَنُ مِـــنْ وَقْفَـــةِ الحُـــرِّ ... يَرْجُـــو نَـــوَالاً ببـــابِ نَحْـــسِ

الأساليب البلاغية :

1- **التعريف** : هو "ما دل على شيء بعينه ، والتنكير : ما دل على شيء ليس بعينه" [3].

أقسام المعارف هي : الضمير والعلم واسم الإشارة والاسم الموصول والمعرف بالألف واللام والمضاف إلى أحد هذه المعارف.

والمعرفة أخصُّ من النكرة ، وكلما كانت أخص كانت أتم دلالة على المراد من النكرة.

---

(1) المطول – التفتازاني - ص204 ، المكتبة الأزهرية – القاهرة.

(2) ديوان الشافعي ، ص52.

(3) البلاغة العربية – أحمد مطلوب – ص106 ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – ط1 ، 1980م.

وأما النكرات فكلما ازدادت عموماً ازدادت إبهاماً إلا إذا أضيفت النكرة إلى نكرة فهي للتخصيص.

وقد استخدم الشافعي في هذه القصيدة هذا النوع من النكرات، وهــذا واضح في المقاطـــع التاليـــة: "لقلع ضرس" "ضرب حبس" "نزع نفس" "رد أمس" فقد خصص القلع للضرس فقط لا لغيـــره ، والضرب للحبس والنزع للنفس والرد للأمس ، وأمس كما هو معلوم اسم زمان يعرف بالإضافة مثل قولنا (أمسُنا يومٌ جميلٌ) ، مبني على الكسر دائماً مثل قولنا (قضى أمسِ سريعاً) إلا عند تميم فإنها تعربه إعراب الممنوع من الصرف.

وكذلك قوله "وقرُّ بَرْدٍ" أي شـــدة البـــرد ، يقـــال يـــومٌ قارٌ وليلة قارةٌ أي شديدة البرد. "وقود فرد" "ودبغ جلد" "وأكـــل ضب" "وصيد دب" "وصرف حب" "بأرض خرس" ، "ونفخ نار" ، "وحمـــل عار" ، " وبيع دار" ، "وبيع خف" ، "وعدم إلف" ، "وضرب ألف" ، "بحبل قلس".

كلها نكرات وغرضها القصد والتعيين أي كل شيء خاص بما أضيف إليه ، إلا أن كل هذه الأشياء مع صعوبتها وعظمتها وثقلها على النفس ومرارتها أهون عند الشافعي من وقفة الإنسان الحر صاحب الأنفة عزيز النفس يرجو نوالاً أي عطاءً بباب نحس ، والنحس إنســـان فاجـــر بطبعه ، والعرب تقول: "لا ترى أنجس من كافر ولا أنحس من فاجر" [1] ، ويتضمن هذا دعوة إلى عزة النفس وعدم القبول بما دون ذلك.

2- **الترصيع** : وهو "أن تكون ألفاظ الجملة أو ألفاظ البيت من الشعر منقسمة ، كل لفظة تقابلها لفظة على وزنها ورويها" [2].

وجعل ابن أبي الأصبع الترصيع كالتسجيع في كونه يُجَزّئُ البيت إما ثلاثة أجزاء إن كان سداسياً أو أربعة إن كان ثمانياً" [3].

ويلاحظ أن هذه الأبيات تضمنت ترصيعاً حيث اتفقت ثلاثة مقاطع من البيت الثاني والثالث والرابع والخامس "أي في قوله "وقرّ برد وقود فرد ودبغ جلد" إلى قوله "وبيع خف وعدم إلف وضرب ألف" وهو من ترصيع الموازنة حيث يكون البيت أو الفصل مقسوماً كلمتين كلمتين من غير زيادة عليها وأن تكون الثانية من كل قسم على وزن الثانية من القسم الذي قبلها والقسم الذي بعدها.

---

(1) أساس البلاغة – الزمخشري- ص747.

(2) جوهر الكنز – ابن الأثير الحلبي – ص254 ، تحقيق : د.محمد زغلول ســـلام ، ط مكتبـــة دار المعـــارف – القاهرة.

(3) تحرير التحير – ابن أبي الأصبع - ص302.

3- **التصريع** : يقال "صَرْعَي النهار" أي طرفاه ، وهو متعلق بطرفي البيت الشعري وهما آخر الصدر وآخر العجز وقد جعله ابن أبي الأصبع على ضربين :

"عروضي وبديعي ، فالعروضي : عبارة عن استواء عروض البيت وضربه في الوزن والإعراب والتقفية ، والبديعي : استواء آخر جزء في الصدر وآخر جزء في العجز في الوزن والإعراب والتقفية" [1].

وقد تحقق هذا في قول الشافعي :

لَقَلْعُ ضِرْسٍ وَضَرْبُ حَبْسٍ ... ونَزْعُ نَفْسٍ وَرَدُّ أمْسِ

فقد اتفق آخر جزء في الصدر وهو "حبس" وآخر جزء في العجز "أمس" في الوزن والإعراب والقافية.

وهو ترصيع : لأن المقاطع الأربعة جاءت على وزن واحد وقافية واحدة ، "لقلع ضرس" ، "وضرب حبس" ، "ونزع نفس" ، "ورد أمس".

القصيدة الثامنة

الفقيه والرئيس والغني [2]

إنَّ الفَقِيْه هُوَ الفقيهُ بفِعْلِهِ ... لَيْسَ الفقيْهُ بِنُطْقِه ومَقَالِهِ

وكَذَا الرَّئيسُ هو الرئيسُ بِخُلْقِهِ ... لَيْسَ الرَّئيسُ بقَوْمِهِ ورِجَالِهِ

وكَذَا الغَنيُ هُوَ الغنيُ بِحَالِهِ ... لَيْسَ الغَنِيُ بِمُلْكِهِ وبِمَالِهِ

الأساليب البلاغية :

1- **الخبر الطلبي** : وفيه يكون المخاطب متردداً في قبول الحكم الذي يتضمنه الخبر فيؤكد له الكلام بمؤكد واحد وهذا واضح في تعريف "الفقيه والرئيس والغني" مستخدماً الإثبات والنفي فقال في تعريف الفقيه :

إنَّ الفَقِيْه هُوَ الفقيهُ بفِعْلِهِ ثم نفى بقوله " لَيْسَ الفقيْهُ بِنُطْقِه ومَقَالِهِ" فقد اعتبر فعل الفقيه مقدم على قوله.

ثم عرف الرئيس بقوله :

(1) المرجع السابق – ص305.

(2) ديوان الشافعي ، ص52.

وكَذَا الرَّئيسُ هو الرئيسُ بِخُلْقِهِ ثم نفى بقوله "لَيْسَ الرَّئيسُ بِقَوْمِهِ ورِجَالِهِ" ، فالخلق عنده مقدم على القوم والرجال.

ثم عرف الغني بقوله :

وكَذَا الغَنيُ هُوَ الغنيُ بِحَالِهِ ثم نفى بقوله " لَيْسَ الغَنِيُ بِمُلْكِهِ وبِمَالِهِ" فالحال التي يتميز بها الغني مقدمة على المال والملك.

فأثبت الأصول التي يتميز بها كل من الفقيه والرئيس والغني وقدمها على الفروع لأهميتها، فالقيمة التي يسعى الشاعر لتأكيدها هي قيمة الصدق التي تعني التطابق الممكن بين القول والسلوك ، أو الاعتقاد والأفعال.

2- **التكرار**: حيث كرر كلمة "الفقيه والرئيس والغني" كل واحدة ثلاث مرات ، وهذا تكرار في اللفظ والمعنى ، غرضه التأكيد من أجل تمكين الشيء وتقريره في نفس المخاطب ويعمل على إزالة الشكوك.

ولو تأملنا في المقطع الثاني لكل بيت من الأبيات الشعرية الثلاثة لوجدنا أن النفي في المقطع الثاني جاء تأكيداً للإثبات في المقطع الأول.

3- **الطباق بين اسمين** في قوله "بفعله ومقاله" في البيت الأول.

وفيه طباق سلب حيث جمع بين متضادين أحدهما مثبت والآخر منفي ، فجاء الشطر الأول في الأبيات الثلاثة مثبت والشطر الثاني في نفس الأبيات منفي على النحو التالي.

إنَّ الفَقِيْـــــــــــــه......................	لَـــــــيْسَ الفقيْـــــهُ......................
وكَـــــــذَا الــــــرَّئيسُ......................	لَـــــيْسَ الـــــرَّئيسُ......................
وكَـــــــذَا الغَنــــــــيُ......................	لَـــــيْسَ الغَنِـــــيُ......................

القصيدة التاسعة

حملُ النفسِ على ما يزينها [1]

صُنِ النَفْسَ واحملْهَـــا علـــى مـــا يَزِيْنُهَـــا	تَعِـــشْ سَـــالِماً والقـــولُ فيـــكَ جميـــلُ
ولا تُـــــــولِينَّ النَّـــــــاسَ إلا تَجَمُّـــــــلاً	نَبَـــا بـــكَ دَهْـــرٌ أو جَفَـــاكَ خليـــلُ

---

(1) ديوان الشافعي ، ص70.

وإنْ ضَاقَ رزقُ اليومِ فاصبر إلى غدٍ عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ

ولا خَيْرَ في ودِّ امرئٍ مُتَلَوِّنٍ إذا الرِّيْحُ مَالَتْ ، مَالَ حيثُ تميلُ

وما أكثرَ الإخوانِ حينَ تَعَدُّهم ولكنَّهم في النائباتِ قليلُ

الأساليب البلاغية :

1- **الأمر** في قوله "صُنِ النفس" ، " واحملْهَا على ما يَزِيْنُهَا" ، " فاصبر إلى غدٍ" وهي للنصيحة والإرشاد فهو ينصحه بحفظ النفس وحملها على ما يزينها والابتعاد عما يشينها ؛ لأن هذا يضمن له سلامة العيش ، وحسن القول ، ثم ينصحه بالصبر على ضائقة اليوم وربما تتكرر هذه الضائقة ، فلا مفر من الصبر ، لعل الله يفرج الكرب غداً ، ومعلوم أن المرء بين يومين ، يوم مضى ويوم بقى.

2- **النهي** في قوله " ولا تُولِينَّ النَّاسَ إلَّا تَجَمُّلاً" للنصيحة والإرشاد حتى لو فارقك الدهر ، وفارقك الأصحاب.

3- **مجاز عقلي علاقته الزمانية** : المجاز العقلي هو : "مجاز الإسناد وهو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير فاعله الحقيقي لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي ".

والعلاقة الزمانية : يسند الفعل فيها إلى الزمان الذي وقع فيه الفعل.

ومنه قول الشافعي " نَبَا بكَ دَهْرٌ" والمقصود : نبا بك مَنْ في الدهر ، إلا أنه أسند الفعل إلى زمان وقوع الفعل.

4- **الإنشاء غير الطلبي** : وهو ما لا يتضمن طلباً أو ما لا يستدعي مطلوباً ومنه : المدح والذم والقسم والرجاء والتعجب وصيغ العقود ومما ورد في هذه القصيدة الرجاء في قوله : " عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ".

5- **الخبر الطلبي** : وهو أحد أضرب الخبر وغرضه التوبيخ والتحقير كما في قول الشافعي:

ولا خَيْرَ في ودِّ امرئٍ مُتَلَوِّنٍ إذا الرِّيْحُ مَالَتْ ، مَالَ حيثُ تميلُ

فهو يحقر هذا الإنسان المتقلب المتلون الذي يميل مع المصلحة ومع الهوى وليس مع المبادئ والقيم والفضائل ، فهو منافق لا مبدأ له ، فمن كان على هذه الشاكلة لا يستحق إلا التوبيخ ، وكذلك في البيت الذي يليه حيث بين أن الإخوان كثر إلا أنهم في النائبات قليل ؛ لأن المصالح حينها تكون غير موجودة.

ومـــا أكثـــرَ الإخـــوانِ حـــينَ تَعَـــدُّهم ولكـــــنَّهم فـــــي النائبــــاتِ قليـــــلُ

القصيدة العاشرة

شروط تحصيل العلم (1)

أخـــي لَـــنْ تَنَـــالَ العلـــمَّ إلّـــا بـــستةٍ سـ ــأنبيك عَـــنْ تَفْـــصيلِهَا ببيـــانِ

ذَكَـــاءٌ وَحِـــرْصٌ واجتهـــادٌ وبُلْغَـــةٌ وصـــحبةُ أُســـتاذٍ وطـــولُ زمـــانِ

الأساليب البلاغية :

1- **القصر وطريقة النفي والاستثناء** في قوله " أخي لَنْ تَنَالَ العلمَّ إلا بستةٍ" فقد قصر نوال العلم على هذه الأمور ولا سبيل إلى تحصيل العلم بغيرها ، وهي أمور صعبة وليست سهلة فمن حَصَّلَ العلم وجـب عليـه صونَـه وحفظه ، كما يصون الواحد منا عرضه، ودمه ، كما قال الشافعي (2) :

العلـــمُ مِـــنْ فَـــضْلِهِ لِمَـــنْ خَدَمَـــهُ أَنْ يَجْعَـــلَ النَّـــاسَ كُلَّهـــمْ خَدَمَـــهْ

فواجـــــبٌ صَـــــوْنَه عَلَيْـــــهِ كمـــــا يَـــصونُ فـــي النَّـــاس عِرْضَـــهُ وَدَمَـــهُ

وما ذلــك إلا لأن العلـم هـو طريق السعادة في الدنيا والآخرة وصدق الشافعي حيث يقول(3):

فلـــولا العلـــمُ مـــا سَـــعِدَتْ رجـــالٌ ولا عُـــرِفَ الحـــلالُ ولا الحـــرامُ

2- **اللف والنشر المجمل** : حيث جاء اللف مشتملاً على عدد وهو العدد "ستة" ثم جاء النشر موضحاً ومفصلاً لهذا العدد في قولـه "ذَكَـاءٌ وَحِرْصٌ واجتهادٌ وبُلْغَةٌ وصحبةُ أُستاذٍ وطولُ زمانِ".

ومن هذا القبيل قول الشافعي (4) :

ثـــــلاثٌ هُـــــنَّ مُهْلِكَـــــةُ الأنـــــام وداعيـــــةُ الـــصَحيْح إلـــى الـــسِّقَامِ

---

(1) ديوان الشافعي ، ص81.

(2) المرجع السابق ، ص80.

(3) المرجع السابق ، ص74.

(4) المرجع السابق ، ص74.

دَوَامُ مُدَامــــــــــةٍ ودَوَامُ وطْــــــــــئٍ وإدخـــــالُ الطعـــــامِ علــــى الطعـــــامِ

بعض أشعار الحكمة عند الشافعي

أولاً : السماحةُ وحُسْنُ الخُلُقْ (1)

ذكر الإمام الشافعي في هذه القصيدة ثلاثة مقاطع كلها تدعو إلى حسن الخلق وتدعو إلى الصبر والتحمل ، وخاصـــة أذى الناس ، وســـبهم وسفاهاتهم ، وهو بهذا يقتدي بتوصيات رسول الله **r** التي قرر فيها " أن من يعامل الناس ويصبر على أذاهم خير ممن لـــم يعامـــل النـــاس ولا يصبر على أذاهم " ، فمن عامل الناس على بصيرة ونور ، يعلم أنه سيجد من الناس كل شيء ، الطيب والقبيح ، الحسن والسيئ ، الحلو والمر ، فهـــو بذلك مستعد للتعامل مع كل هذه الأنواع.

ومما ذكره في **المقطع الأول** قوله :

إذَا سَـــبَّني نَـــذْلٌ تَزَايـــدتُ رِفْعـــةً ومـــا العَيْـــبُ إلا أن أكـــونَ مـــسابِبُهْ

ولَوْ لَـمْ تَكُـنْ نَفْـسِي عَلَـيَّ عَزِيْـزَةٌ لَمَكَّنْتُهـــا مِـــنْ كـــلِّ نـــذلٍ تُحَارِبُـــه

ولَــوْ أنَّنــي أسْــعَى لِنَفْعِــي وَجَــدْتَنِي كَثِيْـــرَ التَّـــوَانِي للَّـــذِي أَنَـــا طَالِبُـــهْ

ولكنَّنـــي أسْـــعَى لأنْفَـــعَ صَـــاحِبي وَعَارٌ على الشَّبْعَانِ إنْ جَـاعَ صَـاحِبُهْ

وفيه ثلاث إشارات :

الأولى : صاحب النفس العزيزة والهمة العالية يأبى أن ينزِّل نفسه منزلة الأنذال.

الثانية : عدم البحث عن المنافع الخاصة ، والحرص كل الحرص على منفعة الناس.

الثالثة : عار على الإنســـان الذي يبيتُ شبعاناً وجاره جوعـــان وهـــي مقتبـــسة مـــن حـــديث الرسول **r** : **(والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن من بات شبعان وجاره جوعان).**

المقطع الثاني :

يُخَـــاطِبُنِي الـــسَّفِيْهُ بكُـــلِّ قُـــبْحٍ فـــأكره أنْ أكُـــوْنَ لَـــهُ مُجِيبَـــا

(1) ديوان الشافعي ، ص22-23.

يَزِيْـــــدُ سَـــــفَاهَةً فَأَزِيْـــــدُ حِلْمــــــاً   كَعُـــــودٍ زادَهُ الإحــــــراقُ طِيبَـــــــاً

وهنا يقرر عدم الرد على السفهاء حتى وإن زادوا سفاهة أي تعمدوا الإساءة ، فواجــب عليَّ أن أزداد حِلْماً وخُلُقاً حتى يميز الناس بين السفهاء والعقلاء والحكماء ، وهو على هذه الحالة كحالة العود الذي تكشف النارُ حقيقته ، ولو لم تكشف النار حقيقته لما ميز النـــاس بـــين العــود والحطب كما قال الشافعي :

والعودُ لَـوْ لَـمْ تَطِـبْ منــه روائحــه   لم يُفرقِ الناسُ بـين العـودِ والحطـبِ

والتميز لا يكون إلا بالصبر لأنه هو الذي يحافظ على حسن الخلق عند الإنسان.

المقطع الثالث :

إذا نَطَـــقَ الـــسَّفِيهُ فـــلا تُجِبْـــهُ   فخيـــرٌ مِـــنْ إجابتــــه الـــسُّكُوتُ

فـــإنْ كَلَّمْتَـــه فَرَّجْـــتَ عَنْـــهُ   وإنْ خَلَّيْتَـــه كَمَـــداً يَمُـــوتُ

ويتضمـــن معنى مكملاً للمقطع الثانـــي حيث ينصح بعدم الرد على السفهاء بأســلوب نهي ، مبيناً أن السكوت أفضل من الإجابة ، حتى يحافظ الإنسان صاحب المنزلة العاليـــة علـــى مكانته، ولا ينزل نفسه منزلة السفهاء ،معللاً ذلك بأنك لو ردّدْتَّ عليه فإنك ستفرج عنه وتـــريح نفسيته، وإن تركته وسكت عنه كمداً يموت وفي هذا حسن تعليل من فقيه وبليغ.

ثانياً : توقير الرجال [1]

مَـــنْ هـــابَ الرِّجَـــالَ تَهيَّبُـــوه   ومَـــنْ حَقَـــرَ الرِّجَـــالَ فَلَـــنْ يُهَابَـــا

ومَـــنْ قَـــضَتِ الرِّجَـــالُ لـــه حُقُوقَـــاً   وَمَـــنْ يَعْـــصِ الرِجـــالَ فَمَـــا أصَـــابَا

فقد عبر عن المعنى مستخدماً عدداً من الأساليب البلاغية المتعددة في هذا المقطع حيث استخدم طباق السلب في قوله "هاب- لن يهابا" والأسلوب الخبري الطلبي في قوله " ومَـــنْ حَقَـــرَ

(1) ديوان الشافعي ، ص27.

الرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا " والتكرار لكلمة الرجال أربع مرات لأهميتها ولتقريرها وتثبيتها في نفس المخاطب لأن الحديث عنها.

ويعكس الشافعي في هذه الحكمة خبرته وتجربته في الحياة فقد تبين له أن مصاحبة الرجال هي منفعة مؤكدة ومصاحبة أشباه الرجال هي مفسدة مؤكدة.

ثالثاً : زِيْنَةُ الإنْسَانِ بالعِلْمِ والتَّقْوَى (1)

اصْبِرْ عَلَى مُرِّ الجَفَا مِنْ مُعَلِّمٍ	فإِنَّ رُسُوبَ العِلْمِ فِيْ نَفَرَاتِهِ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ مُرَّ التَّعَلُّمِ سَاعَةً	تَجرَّع ذُلَّ الجَهْلِ طُولَ حَيَاتِهِ
ومَنْ فَاتَهُ التَّعْلِيمُ وَقْتَ شَبَابِه	فَكَبِّرْ عليه أَرْبَعَاً لِوَفَاتِهِ
وذاتُ الفَتَى واللهِ بالعلم والتُّقَى	إذَا لَمْ يكُونا لا اعْتِبَارَ لِذَاتِهِ

وتتضمن هذه القصيدة عدداً من الإشارات والتنبيهات :

1- زينة الإنسان بالعلم والتقوى وإذا لم يكونا لا اعتبار لذاته.
2- لا بد للإنسان حتى يحقق هذا الأمر من الصبر على التعلم ، وتحمل مشاقه ، وإلا فلن يحقق نجاحاً وسيتجرع الذل طول حياته.
3- استخدم الشافعي عدداً من الأساليب البلاغية في هذه القصيدة للتعبير عن المعنى المقصود وهي: أسلوب الأمر في قوله " اصبر وكبِّر" ، والأسلوب الخبري الطلبي في قوله "فإنَّ رسوب العلم في نفراته" وقوله "ومن لم يذق مرَّ التعلم تجرع ذل الجهل" ، والأسلوب الإنشائي غير الطلبي مستخدماً القسم في قوله "وذاتُ الفتى – والله - بالعلم والتقى" ، والاعتراض بالقسم في قوله "والله" لإظهار أهمية الشيء المقسم به ، والاعتراض هو : كل كلام أُدخل فيه لفظ مفرد أو مركب ، لو سقط لبقي المعنى الأول على حاله (2).

---

(1) ديوان الشافعي ، ص29.

(2) المثل السائر - ابن الأثير – ج3 ، ص40.

رابعاً : كُلَّما اشْتَدَتْ فُرِجَتْ (1)

وَلَــرُبَّ نَازِلَـــةٍ يَــضِيْقُ لَهَـــا الفَتَـــى ذرعـــاً وعِنْـــدَ اللهِ منْهَـــا المَخْـــرَجُ

ضَـــاقَتْ فَلَمَّـــا اســـتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهـــا فُرِجَـــتْ وكُنْـــتُ أظُنُّهـــا لَـــا تُفْـــرَجُ

وفيها إشارتان :

1- الإيمان بالله والتوكل عليه ، واليقين بأن الله مفرج الكربات.

2- إدخال الطمأنينة إلى القلب ، وإخراج اليأس والإحباط منه حتى لا يبقى للحزن موضـــع فـــي قلب المخاطب وهذا ما فعله رسول الله **r** عندما خاطب الصديق وهما في الغار "لا تحـــزن إن الله معنا" عقب العلماء على ذلك بقولهم هذا أسلوب نهي غرضـــه الائتنـــاس أي إدخـــال الأنس والطمأنينة إلى قلب أبي بكر.

خامساً: الاستعداد للمنايا (2)

كَـــمْ ضَـــاحكٍ والمَنَايَـــا فَـــوْقَ هَامَتِـــهِ لَوْ كَانَ يَعْلَـــمُ غيبـــاً مَـــاتَ مِـــنْ كَمَـــدِ

مَنْ كَانَ لَمْ يُؤْتَ عِلْمَاً فِـــي بَقَـــاءِ غـــدٍ مَـــاذَا تَفَكُّـــرُهُ فِـــي رزقِ بَعْـــدَ غَـــدِ

فهو يحث المخاطب في هذين البيتين على الاستعداد الدائم لمقابلة الموت ، لأن الإنسان لا يعلم الغيب وخاصة فيما يتعلق بالموت ، قال تعالى : **[وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ]** {لقمان:34} ، ولو علم الإنسان ما هـــو مخبـــأ في علم الغيب له لمات من الكمد ، والكمد هو : الحزن المكتوم غير الظاهر ، وهذا يعني أن الإنســـان لو علم الغيب ، لظل في حالة تفكير دائمة مما يؤدي إلى موته ، وبناءً على ذلك يجـــب ألا يضيـــع الإنسان وقته في اللهو واللعب وألا يفكر في الرزق الذي هو من عند الله فالذي لا يملك بقاء الغـــد هل يعقل أن يفكر في رزق ما بعد الغد ، إذن لا بُدَّ من الاستعجـــال فـــي ترك اللهو والضحك والعودة إلى الله حتى لا يخطفنا الموت فجأة ، وصدق
الشاعر حيث يقول :

(1) ديوان الشافعي ، ص32.

(2) ديوان الشافعي ، ص38.

حتى متى أنت فـــي لهـــو وفـــي لعـــب والمـــوت نحـــوك يهـــوى فـــاغراً فـــاه

سادساً : العُزْلةُ خَيْرٌ مِنْ جليس السُّوء [1]

إذَا لَـــمْ أجِـــدْ خِـــلاً تقيَّـــاً فَوِحْـــدَتِي ألَـــذُّ وأشْـــهَى مِـــنْ غَـــوِيٍّ أُعاشِـــرُه

وأجْلِـــسُ وَحْـــدِي للعِبَـــادَةِ آمِنَـــاً أَقَـــرُّ لِعَيْنِـــي مِـــنْ جلـــيسٍ أُحـــاذِرُه

وفي هذه القصيدة إشارتان :

1- الدعوة إلى مجالسة الأتقياء.
2- الدعوة إلى ترك مجالسة الأشرار ، وأصحاب السوء ، الذين لم تأمن مجالستهم ، وذلك لأن مجالسة أصحاب السوء تعود عليك بالأذى والضرر ، وهذا ما وجهنا إليه رسول الله **r** عندما حذرنا من رفقاء السوء فقال : (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل).

وإلى ذات المعنى أشار الشاعر بقوله :

لا تجلـــس إلـــى أهـــل الـــدنايا فـــإن خلائـــق الـــسفهاء تُعـــدى

فهو أسلوب نهي عن مجالسة السفهاء وغرضه النصيحة والإرشاد.

سابعاً : نورُ العلمِ يَسطَعُ بتركِ المعَاصِي [2]

شَـــكَوْتُ إلَـــى وَكِيْـــعٍ سُـــوْءَ حِفْظِـــي فأرشَـــدَنِي إلَـــى تَـــرْكِ المَعَاصِـــي

وأَخْبَرَنِـــي بـــأنَّ العِلْـــمَ نُـــوْرٌ ونُـــوْرُ اللهِ لا يُهـــدَى لِعَاصِـــي

فترك المعاصي هو السبيل الوحيد لتحصيل العلم الـشرعي الـذي يَرضـى عنـه الله ورسوله **r** لأنه نور الله ، ونور الله لا يُهدى لعاصي.

---

(1) ديوان الشافعي ، ص43.

(2) المرجع السابق ، ص54.

ثامناً : حب الصالحين [1]

أُحِـــبُّ الـــصَالِحيْنَ ولـــسْتُ مِـــنْهُمْ لَعَلِّــــي أنْ أنَـــالَ بِهِـــمْ شَـــفَاعَة
وأَكْـــرَهُ مَـــنْ تِجَارَتُـــهُ المَعَاصِـــي ولَـــوْ كُنَّـــا ســـواءً فِـــيْ البِـــضَاعَة

وفيها:

1- الحث على محبة الصالحين لعلها تكون سبباً في الشفاعة لصاحبها يوم القيامة ، لأن المؤمن مع من أحب ، ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف عنهم من طيب أعمالهم قربة إلى الله تعالى ، قال تعالى : [**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ**] {المائدة: 55-56}، وقال رسول الله **r** : **(المرء مع من أحب)** فواجب المسلم أن يحب الصالحين ويقدرهم ، ولا يبغضهم ، لأن عداءهم وبغضهم جرم خطير كما ورد في الحديث القدسي : **(من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب).**

2- عدم محبة أصحاب المعاصي وكرههم مهما يكونوا.

تاسعاً : مِنْ الوَرَع اشتغالك بعيوبكَ

المَـــرْءُ إنْ كـــانَ عـــاقلاً وَرِعَـــاً أشْـــغَلَهُ عَـــنْ عُيُـــوبِ غَيْـــرِهِ وَرَعُـــهْ
كَمَـــا العَلِيْـــلُ الـــسَّقِيْمُ أَشْـــغَلَهُ عَـــنْ وَجَـــعِ النَّـــاسِ كُلِّهِـــم وَجَعُـــهْ

وفيه حثٌ على انشغالِ الإنسان بعيوبه عن عيوب الناس فهو تماماً يشبه العليل الـسقيم الذي انشغل بوجعه ومرضه عن وجع ومرض الناس.

ويعتبر الشافعي شرط عيشك سليماً من الردى أن تحفظ لسانك وعينك عن عيوب الناس لأن المسألة تبادلية ، فكما لك لسان ينهش في أعراض الناس وعين ترقب عيوب الناس فاعلم أن للناس ألسن وأعين فقال :

إذَا رُمْتَ أَنْ تَحْيَا ســليماً مِــنَ الــرَّدَى ودِيْنُـــكَ مَوْفُـــورٌ وعِرْضُـــكَ صَـــيِّنُ
فـــلا يَـــنْطِقَنْ مِنْـــكَ اللـــسانُ بِـــسَوْأَةٍ فَكُلُّـــكَ سَـــوءَاتٌ وللنَّـــاسِ أَلْـــسنُ

---

(1) المرجع السابق ، ص56.

وعَيْنَـــاكَ إنْ أبْـــدَتْ إليـــكَ مَعَائِبَـــاً فَدَعْهَا وَقُــلْ يَــا عَــيْنُ للنَّـــاسِ أَعْــيُنُ

وَعاشِرْ بِمَعْرُوْفٍ وسَامِحْ مَــنِ اعتَــدَى ودَافِعْ ولَكِــنْ بــالتي هِــيَ أَحْــسَنُ [1]

عاشراً : مَنْ رَاقَبَ الله رَجَعْ [2]

حَـــــــسْبِي بِعِلْمِـــــــي إنْ نَفَـــــــعْ مَــــا الــــذُّلُّ إلّـــا فـــي الطَّمَـــعْ

مَـــــــنْ رَاقَــــــبَ الله رَجَــــــع مَــــا طَــــارَ طَيْـــــرٌ وارْتَفَـــــعْ

إلا كَمَـــــــــا طَـــــــــارَ وَقَـــــــــعْ

وفيه إشارات :

1- على الإنسان أن يدعو دائماً بأن ينفعه الله بعلمه "اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا".

2- الابتعاد عن الطمع لأن عاقبته الذل.

3- الدعوة إلى مراقبة الله دائماً ، وفي الأمور كلها ؛ لأنها طريــق العــودة إلــى الــصواب ، والابتعــاد عــن الغــرور والتكبــر ، لأن الإنسان مهما يعلو في هذه الدنيا لا مفرَّ له مــن الاستسلام لقضاء الله وقدره.

الحادي عشر : كتمان الأمور [3]

إذَا المـــرْءُ أفْـــشَى سِـــرَّه بِلِـــسَانِهِ ولامَ عَلَيْــــهِ غَيْــــرَه فَهُــــوَ أحْمَــــقُ

إذَا ضَاقَ صَدْرُ المرءِ عَنْ سِــرِّ نَفْــسِهِ فَصَدْرُ الــذي يُــستودَعُ الــسرَّ أضْــيَقُ

يقال : إن الكلمـــة تبقى ملكاً لصاحبها ما لم ينطق بها ، فإن نطق بها أصـــبحت ملكـــاً للناس، فمن حقهم أن يتكلموا بها متى شاءوا ، فلا يلومنَّ أحداً بعد ذلك إن أزعجه الكـــلام وإنمـــا عليه ألا يلومن إلا نفسه.

---

(1) ديوان الشافعي ، ص84.

(2) المرجع السابق ، ص57.

(3) المرجع السابق ، ص65.

وهذا يدعونا إلى أن نملك القدرة العالية على حفظ أسرارنا ، لأن بعض جوانب الحيـاة بحاجة إليه كما أكد ذلك رسول الله r : **(استعينوا على قضاء حوائجكم بالسر والكتمان)** فإن لم نملك القدرة على ذلك فعلينا أن نعلم أن صدر الذي يُستودعُ السرَّ أضيق.

ويدعونا أيضاً إلى أن نحفظ ألسنتنا ولا نطلق العنان لها لأنها ستؤذينا وتلحق بنا الضرر في الدنيا والآخرة وهذا ما حذرنا منه الإمام الشافعي فقال :

احْفَـظ لسـانَك أيهـا الإنسـان لا يَلْـدَغنَّك إنَّـهُ ثُعْبَـانْ

كَـمْ فـي المقَـابِرِ مِـنْ قَتِيـلِ لِسَانِهِ كَانَـتْ تَهَـابُ لِقَـاءَه الأَقْـرَانْ [1]

الثاني عشر : اعْمَلْ بنَفْسِكَ [2]

مَـا حَـكَّ جِلْـدَكَ مِثْـلُ ظُفْـرِكْ فتَـوَلَّ أنْـتَ جَمِيْـعَ أَمْـرِكَ

وإذَا قَـصَدْتَ لِحَاجـةٍ فَاقْـصِدْ لِمُعْتَـرِفٍ بِقَـدْرِكَ

وفيها :

1- الاعتماد على النفس في إنجاز كل الأمور.

2- إذا قصدنا غيرنا لحاجـة مـن الحاجـات فلا نذهب إلا لمن يعرف قدرنا ، ولا نطلب مـن غيره لأن الذي لا يعرف قدرنا لا يلبي لنا حاجاتنا ، ويلحقنا الحرج من مراجعتـه وقـصده، خاصة وأن الرجال ومن يقدرون الرجـال ويعرفـون قدرهم قلة كما قال الإمام الشافعي :

ومـا أكثـر الإخـوان حـينَ تعـدُّهم ولكـنَّهم فـي النائبـاتِ قليـلُ [3]

الثالث عشر : عُفُّوا تَعُفُّ نسَاؤكُم [4]

عُفُّـوا تَعُـفُّ نِـسَاؤكُمْ فِـي المَحْـرَمِ وتَجَنَّبُـوا مـا لَـا يَلِيْـقُ بمُـسْلِمِ

(1) ديوان الشافعي ، ص82.

(2) المرجع السابق ، ص68.

(3) المرجع السابق ، ص70.

(4) المرجع السابق ، ص76.

إنَّ الزنَا دَيْنٌ فإنْ أقْرَضْتَهُ كانَ الوَفَا مِنْ أهلِ بيتكَ فاعْلَمْ

وفي البيتين إشارتان :

1- مطالبة الرجال بالتعفف أولاً حتى تعف النساء ، وفيه مخالفة لما تعودت عليه البيئة العربية في تحميل المسئولية دائماً للمرأة ، فالرجل هو الذي يوجه امرأته أو ابنته للمثاليات ، والالتزام بالأخلاقيات ، لكنه ليس من الضروري أن يلتزم هو وفي هذه الحالة لا يمكن أن تتحقق العفة والطهارة بصورتها المتكاملة إلّا إذا التزم فيها الطرفان فقال "عفوا تعف نساؤكم".

2- الزنا دَيْن ولا بدَّ لهذا الدَّيْن من سداد واعلم أيها المسلم العاقل أنَّ السداد سيكون من أهل بيتك.

3- يعتبر الشافعي الزنا هتكاً لحرمة المسلم فمن هتك حرمة مسلم هتك الله حرمته ، وحول هذا المعنى يقول :

يَا هاتِكاً حُرَمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعاً سُبُلَ المَوَدَّةِ عِشْتَ غَيْرَ مُكَرَّمِ

لَوْ كُنْتَ حُرَّاً مِنْ سُلالَةِ مَاجِدٍ مَا كُنْتَ هَتَّاكَاً لِحُرْمَةِ مُسْلِمِ

مَنْ يَزنِ يُزْنَ بِهِ وَلَوْ بِجِدَارِهِ إنْ كُنْتَ يَا هَذا لبيباً فَافْهَمِ [1]

4- نفي عمن يهتك حرمة المسلم صفة الشهامة والعزة والكرامة ، واعتبره عبداً ذليلاً ليس حراً كريماً ولذلك افتتح هذا المقطع بنداء فيه تحذير يدل على خطورة هذا العمل ، وفيه إغراء وهو حث المخاطب على ترك الفعل السيء والقبيح ، وعمل الفعل الطيب الذي يزيده رفعةً وعلواً.

الرابع عشر : وداع الدنيا والتأهب للآخر [2]

حدث المزني وهو : أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال : دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحتُ من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ولكأس المنيةِ شارباً ، وعلى الله جلَّ ذكره وارداً ، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة أم إلى النار ؟ فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول :

(1) ديوان الشافعي ، ص77.

(2) المرجع السابق ، ص78.

وَلَمَّــا قَــسَا قَلْبِــي وَضَــاقَتْ مَــذَاهِبِي ... جَعَلْــتُ الرَّجَــا مِنِّــي لِعَفْــوِكَ سُــلَّمَا
تَعَـــاظَمَنِي ذَنْبِـــي فَلَمَّـــا قَرَنْتُـــهُ ... بِعَفْــوِكَ رَبِّــي كَــانَ عَفْــوكَ أعْظَمَــا

إلى أن قال :

أَلَــسْتَ الــذي غَــذَّيْتَنِي وهَــدَيْتَنِي ... وَلا زِلْــتَ مَنَّانَــاً عَلَــيَّ ومُنْعِمَــا
عَسَى مَنْ لَــهُ الإحــسانُ يغفــرُ زَلَّتِــي ... ويَــسْترُ أوْزَارِي وَمَــا قَــدْ تَقَــدَّمَا

الخامس عشر : أَفْضَلُ العلُوم [1]

قال الشافعي رحمه الله تعالى بعد حديثه : " إذَا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيتَ رجلاً من أصحاب رسول الله r جزاهم الله خيراً حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل.

كــلُّ العُلُــومِ سِــوَى القُــرْآنِ مَــشْغَلَةٌ ... إلا الحــديْثَ وَعِلْــمَ الفِقْــهِ فــي الــدِّينِ
العِلْــمُ مَــا كَــانَ فِيــهِ قَــالَ حــدَّثَنَا ... وَمَــا سِــوَى ذَاكَ وسْــوَاسُ الــشَّيَاطِينِ

الخاتمة:

بعد هذا العرض لعدد من القصائد الشعرية للإمام الشافعي وقراءة الديوان قراءة متأنية من أجل بيان ما فيها من بلاغة تبين لنا أن هذه القصائد تتضمن عدداً كبيراً من المسائل البلاغية موزعة على علم المعاني والبيان والبديع ، مما يظهر بلاغة الإمام وخبرته وحكمته التي تمتع بها وغلبت على أشعاره.

فهو إمام حاضر البديهة ، قوي الإدراك ، عميق الفكر ، واسع العقل ، فصيح اللسان ، موفور البيان ، قوي الجنان.

ولذلك ما من مقطع شعري في الديوان إلا وفيه مسألة بيانية ، ومن هذه المسائل :

الخبر الابتدائي والخبر الطلبي – الأمر – النهي – الاستفهام – النداء – التكرار – التعريف – التنكير – الحذف – الإطناب – التقديم والتأخير – الالتفات – القصر ، وهي من مسائل علم المعاني.

(1) ديوان الشافعي ، ص 88.

ثم التشبيه البليغ والضمني والتمثيلي والاستعارة والمجاز العقلي ، وهي من مسائل علم البيان.

ثم الطباق والمبالغة – التقسيم – الإرصاد – التصريع – الترصيع – المذهب الكلامي – اللف والنشر – التوشيع ورد العجز على الصدر والجناس ، وهي من مسائل علم البديع.

إن هذا العدد الكبير من المسائل البيانية يدلل على صدق ما قاله يونس بن عبد الأعلى : "كان الشافعي إذا أخذ في العربية قلت هو بهذا أعلم ، وإذا تكلم في الشعر قلت هو بهذا أعلم ، وإذا تكلم في الفقه قلت هو بهذا أعلم".

فهو إمام فقيه – محدث – أصولي – شاعر – بليغ – صاحب حكمة وبيان.

المصادر والمراجع

1- الأئمة الأربعة – د. أحمد الشرباصي – دار الجيل – بيروت.

2- أساس البلاغة – الزمخشري – دار المعرفة – بيروت – 1982م.

3- الإيضاح – القزويني – تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي – دار الكتاب اللبناني – بيروت ط4 – 1975م.

4- البرهان في علوم القرآن – الزركشي – طبعة عيسى الحلبي.

5- البلاغة العربية – د. أحمد مطلوب – وزارة التعليم العالي – ط1 – 1980م.

6- تحرير التحبير – ابن أبي الأصبع المصري – تحقيق حفني محمد شرف – القاهرة – 1995م.

7- تهذيب التهذيب – ابن حجر العسقلاني – مطبعة دار المعارف – 1366هـ.

8- توضيح البديع في البلاغة – محمد هلال – المكتب الجامعي الحديث – ط1 – 1997م.

9- جوهر الكنز – ابن الأثير الحلبي – تحقيق محمد زغلول سلام – مكتبة دار المعارف – القاهرة.

10- الخصائص – ابن جني – دار الكتاب العربي – بيروت.

11- ديوان الشافعي – تعليق محمد الزعبي – دار الجيل – بيروت.

12- عروس الأفراح – بهاء الدين السبكي – تحقيق عبد الحميد الهنداوي – المكتبة المصرية 2003م.

13- علم البيان والبديع – بسيوني عبد الفتاح – مؤسسة المختار – ط3 – 2004م.

14- اللغة العربية ومكانتها في الثقافة العربية والإسلامية – د. جميل الملائكة في كتاب قضايا اللغة العربية المعاصرة – تونس – 1990م.
15- لسان العرب – ابن منظور – دار المعارف.
16- المثل السائر – ابن الأثير – تحقيق أحمد الحوفي – بدوي طبانة دار النهضة – مصر
17- مجمع الأمثال – الميداني.
18- معترك الأقران – السيوطي – تحقيق د. محمد البجاوي – دار الفكر العربي – بيروت
19- معجم الأدباء – ياقوت الحموي – دار الفكر – بيروت – 1980م.
20- معجم المصطلحات البلاغية – أحمد مطلوب – مطبعة المجمع العلمي العراقي – 1986م.
21- مفتاح العلوم – السكاكي – تحقيق نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1983م.
22- من بلاغة القرآن – د. محمد علوان – د. نعمان علوان – ط4 – 2009م.